فصل الخطاب في

معركة الحجاب

خالد البحيري

٥

الناشر
مكتبة الإيمان
٤ ش أحمد سوكارنو - العجوزة
ت/ ٣٤٥٢٣٠٢
فاكس/ ٣٠٤٤٨٤١

٢١
ف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولي
١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

رقم الإيداع
٢٠٠٦/٢٣٧٢٩

الترقيم الدولي
ISBN: 977-5260-63-9

مكتبة الإيمان
للطباعة والنشر والتوزيع
٤ش أحمد سوكارنو العجوزة
ت: ٣٤٥٢٣٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين، إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلي اله الطيبين الطاهرين، ومن سار علي نهجهم وسلك طريقهم إلي يوم الدين.

وبعد:

فقد شغلت قضية الحجاب العالم الإسلامي من اقصاه إلي اقصاه، بعد أن اتخذ منها الكارهون لشريعة الإسلام سبيلا للطعن في الدين ومطية لمحاربة الله ورسوله، فتارة ينكرون فرضية الحجاب، واخري يطعنون في سلوك المحجبات، وثالثة، يروجون للسفور ويتحزبون لنصرته، متوهمين ان مساعيهم -الخائبة- سوف تطيح بهذه الفريضة من علي رؤوس ملايين المسلمات، وسوف ينتشر مذهبهم الرخيص، واتخذوا لذلك العدة والعتاد وانفقوا من أموالهم في سبيل ذلك الكثير ولكن مثلهم في ذلك كمثل من ينفق ماله ليصد عن سبيل الله: (فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: من الآية٣٦).

أهل هذا الباطل يقلقهم ويطيّر النوم من أجفانهم ان يجدوا الحجاب في تزايد وانتشار، وهذا دليل دامغ علي أنهم فاشلون لا قيمة لكل ما ينادون به مهما غلفوه بعبارات براقة وشعارات جذابة: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (العنكبوت:٤١)

اما الخلاعة والتكشف وإبداء الزينة الباطنة قبل الظاهرة فهي أمور عادية يجب أن تسود المجتمع ليصبح مثل المجتمعات الراقية التي يتشدقون بشرف الانتماء إلي ثقافاتها، وهذا ليس بجديد فعلى طول تاريخنا الحديث كان موقف بعض المسلمين المتغربين والمتعلمنين من قضايا الإسلام عموما وقضايا المراة المسلمة على وجه الخصوص موقفاً بالغ القباحة والفحش، فهم يؤيدون حرية المرأة ويصفقون لها إذا تعرّت وتهتكت وغشيت علب الليل واندية التعري، لكنهم ينكرون هذه الحرية إذا اختارت المرأة الستر والحفاظ والعفاف.

إن الحرية في نظر هؤلاء رائعة وعظيمة إذا أدت إلى التعرّي وخدمت الفساد والشهوات، وهي مرفوضة ومستقبحة إذا استخدمها الناس خاصة المرأة في طاعة الله والاستقامة على أمره، بل إن الحرية تصبح حينئذ في زعمهم خطراً يهدد المجتمع بالتخلف والعودة لعهود الظلام.

ويعلم الله أنهم بذلك هم الذين يعودون بالمرأة إلي عصور التخلف والظلام فقد كانت المرأة في الجاهلية تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها، وأقرطة أذانها.

ومع أن لكل علم رجاله المتخصصين في دراسته، فالطب لا يخوض في مسائله غير الطبيب والقانون لا يتحدث فيه غير القانونيين، حتي المهن والحرف العادية يرفض أصحابها التدخل فيها، ولو أنك أرشدت قائد السيارة للسير بهدوء لخاطبك قائلا: هل انت سائق ؟ فإن أجبته بالنفي، بادرك بطلب السكوت علي اعتبار انك غير فاهم..

لكن من مآسي هذا الدين أن كل من هبّ ودبّ وقرأ سطرا او سطرين يفتي فيه ويقول، ويشرح، ويتساءل، بل احيانا يحلل ويحرم معتمدا علي ما تعلمه وفهمه، حتي وإن لم يرق إلي درجة تؤهله لذلك، ومع أن الأمر جد خطير فإذا خاطبت احدهم ونصحته بألا يخوض فيما ليس له به علم، اتهمك بأنك تريد احتكار الدين وقال لك بالحرف الواحد : "الإسلام ليس فيه رجال دين" وهذا صحيح لكن هذا المغفل لا يدري أن في الإسلام علماء دين درسوا وفهموا وفقهوا، وأن الإسلام نفسه هو الذي أرشد إلي اتباعهم : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(النحل: من الآية٤٣).

وقضية حجاب المرأة المسلمة من أكثر القضايا التي يفتي فيها انصاف المتعلمين وهواة الحديث في الدين.. وبدون مقدمات وجد الجميع أنفسهم امام قضية أثارت جدلا واسعا في كافة الأوساط الشعبية منها والرسمية، فقد نشرت صحيفة 'المصري اليوم' تصريحا غريبا للسيد فاروق حسني وزير الثقافة اتهم فيه المحجبات باتهامات تصفهن بالتخلف والعودة إلي الوراء وحملهن مسئولية كل ما يحيق بالوطن من تراجع في الوقت الراهن..

تواكب ذلك مع قرار مجمع البحوث الإسلامية بالتوصية بمنع تداول ونشر كتاب لإقبال بركة رئيس تحرير مجلة حواء يتضمن هجوما ماكرا علي الحجاب. قامت الدنيا ما بين مؤيد للوزير ومعارض له، وبين مطالب بحرية الراي، ومتمسك بنصوص الشريعة.

معركة الحجاب أخذت وقتا طويلا مع أنها من القضايا المحسومة التي لا تحتاج إلا لمن يزيل الغبار عن بعض جوانبها، أو من يأخذ بيد هؤلاء المنكرين له ويضعها علي جوانب العظمة في هذا التشريع الحكيم.

وفي الكتاب الذي بين يديك رصد موضوعي لأزمة الحجاب في مصر، مقرون بالأدلة والبراهين التي تؤكد بما لا يدع مجالا للمجادلة أن الله فرض الحجاب لمصلحة الرجل والمرأة معا وأنه ليس مقصورا علي ستر الشعر والصدر والرقبة بل يدخل فيه عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وعدم التلامس، وعدم الخضوع بالقول، ومن كل ما يثير الفتنة ويغري بها.

توخيت في طريقة كتابته المنهج العلمي والفقهي المنضبط، لتخرج الآراء والأحكام في أبهي صورة، وأسهل عبارة، وأجزل لفظ، بعيدا عن التعقيد والتشديد علي المسلمين.

ليس من عادتي أن أشتم أحدا أو أتطاول علي من يختلف معي في الرأي، وأشهد الله أنني أحب كل مسلم في الله علي قدر حبه هو لله، وأبغض كل من يعادي الله ورسوله، بقدر ما يبغض هو دين الله ورسوله.

والله الكريم أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لذاته سبحانه، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يجزل لي العطاء يوم الوقوف بين يديه والعرض عليه،، إنه نعم المولي ونعم النصير

خالد رمضان البحيري

الجيزة في/ السادس من ديسمبر ٢٠٠٦

تقديم

الحجاب .. رؤية عقلية

بقلم: رمضان أبو إسماعيل

أرسل الله تعالي رسوله محمد بن عبد الله - صلي الله عليه وسلم - برسالة خاتمة لكل ما سبقها من رسالات سماوية.. رسالة الهدف من ورائها إتمام مكارم الأخلاق، حيث يقول صلي الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فكانت هداية ومخرجا آمنا للناس من الظلمات إلي النور، وسبيلا قويما لنشر الخير وتغليبه علي كل الشرور، التي ملأت الدنيا منذ وقت نزولها وحتي نهاية الحياة علي هذه البسيطة، فساوت بين كل البشر وصححت مسار العلاقة بين الخالق والمخلوق، وكرمت الإنسان ، وأعلت من شأن المرأة وجعلتها درة ثمينة، لابد أن يكرمها المجتمع ويحفظها من كل سوء يُراد بها أيا كان مصدره وسببه.

نشر الإسلام ثقافة الزواج المبني علي عقد هو أغلظ المواثيق وأجلها وأشرفها عند الله، وحث النساء علي الحرص علي العفة، ليكون الزواج المشروع ممن يناسبهن هو الجزاء الذي لا يساويه جزاء، حيث يكون الزوج خير كفيل لها يسهر علي راحتها ويتفانى في توفير احتياجاتها.

وجاء الحجاب من أهم مقتضيات هذه العفة، فالمرأة لا تكون كاملة العفة إلا بهذا الحجاب الذي فرضه الله تعالي علي كل فتاة مسلمة - بل ومسيحية

ويهودية أيضا – بلغت سن البلوغ، فتجسدت مفاتنها وظهرت تقاسيم جسدها ووضحت الأنوثة عليها، ومن ثم باتت مطمعا لكل الرجال البالغين المجبولين علي حب الشهوة ، ليجد نفسه في بحث دائم عمن تظهر هذه المفاتن ويعاونه في بحثه الشيطان ليقنعه بأن هذه المتبرجة هي خير من تشبع رغبته في النظر، هذه المرأة التي خالفت فرضا من فروض الله علي عباده.. وبمجرد أن بدأت النظرات بدأت العلاقة تقوي بين المرء وشيطانه الذي يتفنن في إغوائه، فيتطور الأمر من النظرة إلي التخيل وفي لحظة يغلب فيها الشر داخل المرء علي الخير يتحرك كالثور الهائج ليتحرش بفريسته هذه الفتاة التي قبلت علي نفسها لتكون فاترينة عرض يشاهد مفاتنها كل من يريد، فيكون التحرش الجنسي الذي يبدأ من الكلام الخارج ويتطور إلي محاولة اللمس ثم التقبيل، ليأتي أخيرا الاغتصاب تلك الجريمة التي كثرت في هذا الزمان بشكل أفقد المرأة الثقة في كل من يحيطون بها.

مسلسل حلقاته تسير في إطار درامي منطقي جاءت في غالبها ناجمة عن استجابة بعض الجاهلين لتلك الدعاوى التي يعليها بعض الحاقدين الكارهين لسيادة الإسلام وصلاح أهله، وبكل أسف جاءت هذه الدعاوى التي تري الحجاب عادة اجتماعية عربية وليست فرضا إسلاميا، لتجد من يناصرها من المسلمين الجاهلين غير العارفين بالإسلام القويم ممن يتعاملون مع النصوص الإسلامية علي طريقة "ولا تقربوا الصلاة"، فيرون أن الإسلام لا يأمر المرأة بالحجاب، بل يحثها علي التزين بدعوى أن الله جميل يحب الجمال، وهم هنا لا يعرفون أن الجمال في الإنسان لا يعني إظهار المفاتن أبدا، فالله يدعو الإنسان بأن يأخذ زينته عند كل مسجد، وذلك بارتداء أجمل الثياب شريطة ألا تكون الثياب من الحرير وأن يتعطر للقاء ربه، علي أن تكون هذه العطور من الحلال صناعة ومالا، أما المرأة فأخذ الزينة يكون بارتداء الثياب النظيفة الجميلة التي لا تشف ولا تجسد ولا يبدو منها إلا الوجه والكفان، بل عليها أن

تختار الألوان التي يغلب عليها الوقار والاحترام، وألا تتعطر بعطر نفاس يجذب انتباه المارة أو الجالسين، فتكون محط أنظار العيون الجارحة الجائعة التي كثرت هذه الآونة.

وبعيدا عن الاختلافات والتحزبات التي تثار كثيرا حول قضية الحجاب من حيث كونه فرضا إسلاميا أم عادة اجتماعية، أدعو جميع المتصارعين إلي حوار هادئ يقوم علي العقل الذي يؤكد الإسلام علي دوره في الحياة، ليكون الاتفاق البنّاء علي هذا الأمر فيكون القرار الفاصل، فالحجاب أداة تلجأ إليها الفتاة لكي تغطي به جزء من جسدها في الغالب هو أكثر أجزاء الجسد فتنة حيث تغطي به شعرها وصدرها ورقبتها ، ومن ثم لا يعدو هذا الأمر إلا وسيلة أمنة تخفي بها الفتاة مفاتن جسدها، هذه المفاتن التي من الطبيعي أن تخص الفتاة بها زوجها حتي تكون سكنا له ويكون سكنا لها، أما غير ذلك فتكون الحياة مشاعا بلا طعم ولا لذة حقيقية، بل والأكثر من ذلك أن هذا الحجاب دائما ما يكون ذو أثر صحي علي الفتاة خاصة علي المستوي النفسي حيث هناك علاقة وطيدة بين إخفاء المرأة لمفاتن جسدها وتعرضها لكل أشكال التحرش الجنسي بدءا من المعاكسات وإنتهاءا بالاغتصاب.

ولا يحق لمسلم صحيح الإيمان أن يسأل علي العلة في بعض فروض الله عليه، فلا يحق له أن يقول بالحج إلي غير الأراضي الحجازية، لأن ذلك فرض حدده رب العزة ولم يتركه للاجتهاد،

وأقول: المسلمون الآن في أمسّ الحاجة إلي هذا الفرض الإسلامي الرصين، الذي لا يشكك فيه إلا جاهل بصحيح دينه، فالبطالة أقعدت الشباب وأعجزتهم عن الزواج، ووسائل الإعلام كرست لديه حب الجنس، وشجعته علي السعي قدما لإشباع هذه الشهوة التي استفحلت وعلا صوتها، وغلبت المادية ضعف الوازع الديني في المجتمعات، وشاعت الفوضى وزادت من نسب الجريمة، وأصبحت المرأة في الشارع تنتهك حرمتها في اليوم مئات المرات من هذه

العيون الجارحة، وتلك الألسنة التي لا ترحم، والأيدي العابسة التي تعبث بما يحرم عليها المساس به، ولا بديل عن السعي المجتمعي الجاد لإعادة الإيمان إلي القلوب، فتثبت الأخلاق وتقوي ويعود الأمن إلي الشارع، هذا كله لن يكون إلا بالحجاب، هذا الحل الذي شرعه لنا رب العزة منذ قرون مضت، لا نزال نكابر ونعلي من خلافاتنا التي تجعل الآخر يستغل نقاط تفرقنا وينفخ في الرماد المتبقية من هذا الخلاف، فتكون نار تخلف وراءها ضعفا وهوانا ووهنا.

القصة الكاملة لمصادرة كتاب إقبال بركة

"الحجاب رؤية عصرية"

كنت علي قناعة بأن ما كتبه السيدة إقبال بركة عن الحجاب لا يعدو كونه مغالطات فكرية وتطفل منها علي علوم لا صلة لها بها، وقد بدا لي ضعف حجتها وتفاهة منطقها منذ قراءة السطور الأولي من كتابها " الحجاب رؤية عصرية"، لكن الخوف تملكني لأنها عمدت في كتابها إلي الاستشهاد بالآيات في غير موضعها، ودللت بالأحاديث تدليلا يفتقد إلي المصداقية، وهذا مما قد يشوش علي البسطاء من الناس ومحدودي الثقافة الدينية وقد ينخدع بما كتبه نفر غير قليل، خاصة في زمن تفشت فيه الأمية الدينية بشكل كبير، ولم تكن إقبال وحدها هي التى تنهج هذا النهج بل هو ديدن رهط من الناس من زمن بعيد: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (البقرة:٧٩).

ولأني أوقن تمام اليقين أن الفكر إنما يجابه بالفكر، وتقرع الحجة بالحجة، قررت أن أفند مزاعمها في أحد فصول كتابي "مسلمات في دائرة الخطر" وقد كان .

وقد اعتمدت في ذلك منهج الإسلام حيث المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة، وسوق الأدلة في مكانها الطبيعي دون لوي لأعناق الآيات، وجعلت مادتي كلها من الكتب الصحيحة التي لا يختلف عليها أحد.

وخلال كتابة فصل الحجاب كانت مجلة "روزاليوسف" تشن حملة ضارية ضد الحجاب، ومع أن القائمين عليها يدّعون أنهم يتبنون الفكر اللبرالي إلا

أنهم صادروا حق المسلمة في أن تتمسك بحجابها وطالبوها بخلعه علي الفور واستبداله بحسب زعمهم برداء الأخلاق، فليس لدي هؤلاء مانع أن تظهر المرأة ما تشاء من جسدها مادامت ذات أخلاق طيبة، وهم في ذلك واهمون وحالهم كمن يطالب بتحلية الشاي بالسكر والملح في وقت واحد.

حججهم كانت مثل حجج صاحبتنا، واهية لا تمت للمنهج العلمي بصلة، فغالبية من يستعينون بهم في الهجوم عن الحجاب من الهواة الذين لا يعرفون عن الدين سوي ما تعلموه في فترة الحضانة علي أكثر تقدير..

بعد فترة من الدراسة والبحث خرج الكتاب "مسلمات في دائرة الخطر" إلي حيز الوجود حاملا بين طياته الردود الثمينة والمفيدة حول كل ما يخص الحجاب، لكني قلت لنفسي: مازال كتاب إقبال في الأسواق وحتي إن كانت طبعته قد نفدت فإنها حتما ستعيد طباعته من جديد، أو يطبعه لها من علي شاكلتها، ومن الواجب أن يحال الأمر لمجمع البحوث الإسلامية لفحص الكتاب فإذا رأى فيه العلماء مضرة -وهي موجودة لا محالة- قاموا بالتوصية بمنعه من التداول والنشر، وإن رأوا غير ذلك -وحاشا لله أن يروا باطلا ويقروه- فقد فعلت ما أملاه علي ديني وضميري المهني.. وبالفعل أرسلت للمجمع النسخة التي كنت أعتمد عليها في الرد وكنت قد كتبت هوامش عديدة عليها أثناء مطالعتها وأرفقت معها نسخة من كتابي وخطابا هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغ إلي مجمع البحوث الإسلامية

صاحب الفضيلة أمين عام مجمع البحوث الإسلامية الأستاذ الشيخ /
إبراهيم عطا الفيـــــومي

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

وبعد:

فهذه نسخة من كتاب " الحجاب رؤية عصرية" للكاتبة الصحفية إقبال بركة صادر عن دار الهلال، وجدت فيها بعضا مما يخالف ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم فيما يتعلق بحجاب المرأة المسلمة، حيث تؤكد الكاتبة أنه لا يوجد نص في القرآن يلزم المرأة أن تضع حجابا علي رأسها، وان الآيات الواردة إنما هي خاصة بزوجات النبي صلي الله عليه وسلم.

وقالت: إن الغرض من آيات الحجاب لم تعبديا أو دينيا، وإنما اجتماعيا صرفا..

وغير ذلك من الأمور التي من شأنها التأثير علي المرأة المسلمة وصدها عن أوامر ربها عز وجل.

ومرفق مع هذا الكتاب نسخة من كتابي "مسلمات في دائرة الخطر" وقد قمت في الفصل الأول منه بالرد علي الكتاب بدء من ص ١٢ وحتي ص ٣٤ ، أرسلها إن أراد المجمع الاسترشاد بها.

وبعد:

أرجو من فضيلتكم كما عهدناكم دائما اتخاذ ما ترونه مناسبا حيال كتاب الأستاذة إقبال، حفظا لأصول الدين، ومنعا لنشر فكر يسيء للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

خالد رمضان البحيري

مساعد رئيس تحرير جريدة صوت الأزهر

تحريرا في ٢٠٠٦/٩/١١

المفتي يفحص الكتاب

فور وصول الرسالة والكتابين إلي مجمع البحوث الإسلامية قام المجمع بمخاطبة فضيلة مفتي الجمهورية الأستاذ الدكتور/ علي جمعة ليقوم بفحص كتاب إقبال بركة وفحص كتاب "خالد البحيري" أيضا.. وفي يوم ٧/١٠/٢٠٠٦ أرسل المفتي تقريره إلي مجمع البحوث الإسلامية تحت رقم صادر ٥٨٦ قال فيه: بخصوص كتاب "مسلمات في دائرة الخطر" فقد تم فحص الكتاب ولا مانع من تداوله ونشره لسلامة المادة العلمية به وعدم احتوائه علي ما يخالف الكتاب والسنة. وأرفق المفتي تقريرا مفصلا عن كتاب " الحجاب رؤية عصرية" هذا نصه:

وزارة العدل

دار الإفتاء المصرية

مكتب فضيلة المفتي

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الشيخ/ إبراهيم الفيومي

أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

فبإشارة إلي خطابكم الوارد إلينا بشأن فحص كتاب " الحجاب رؤية عصرية" للكاتبة الصحفية إقبال بركة، فنفيد علما بأن الكتاب غير صالح

للنشر والتداول وذلك للأسباب التالية:

١- ادعاء الكاتبة الاجتهاد، فهي تقول: "أطرح اجتهادا متواضعا" ص٨ ثم تنصح بناتها وقراءها بذلك، وهذا تجرؤ علي مقام الاجتهاد، وهي لا تملك أدوات وآلات المجتهد فكيف لها ذلك؟!

٢- الإرهاب الفكري الذي استخدمته في أن المطالبة بالحجاب كان في زمن التخلف والجهل، وأنه يُوصف المطالب به من المتشددين والأصوليين ص, ١٠

٣- تكلمت متفاخرة ومتخففة من الدين وأحكامه في باب "خلفية تاريخية" تدعى انحطاط فكر العرب وتهاونهم في الدين عامة والحجاب خاصة.

٤- ذكرت في باب "الحجاب في التاريخ" أن المرأة عبر التاريخ تستتر بالحجاب عن الرذائل، وتدعي الكاتبة زورا أن الحجاب لم يعرف عند المسلمين إلا في العصر العباسي بطلب من ابن المقفع، وعن طريق تقليد المسلمين لأوضاع الفرس بعد فتحهم لفارس، وتزعم كذبا أن الأحاديث الواردة في الحجاب موضوعة أو ضعيفة أو آحاد وهذا كلام مرسل ودعوى لا برهان عليها، وخلط في المصطلحات، وجهل بفن الحديث، وتطفل علي علم لا صلة لها به.

٥- ادعاؤها أن المسلمين امة مقلدة وتابعة للأمم التي فتحوها وزاروها ولم يكن لهم فكر ولا حضارة ولا مدنية ص, ٣٠

٦- ادعاؤها الإجماع في أكثر من موضع علي خلاف ما عليه العلماء، ومثال ذلك ص٣٦

٧- خلطها وغلطها في الآيات القرآنية ص, ٣٥

٨- أخطاؤها في القواعد الحديثية والأصولية واستخدامها استخداما مشوها في غير محلها ص ٣٤ وص ,٤٨

٩- ادعاؤها أن الآيات القرآنية في الحجاب لم تكن تعبدية أو دينية، وإنما اجتماعية.

١٠- تناقضها في ادعائها الحيادية والبحث عن الحقيقة وذلك واضح عبر الكتاب.

١١- استرشادها بكتاب مجاهيل أو بمن رُد عليه وعلي كتبه، ثم تقول عن الصحابة: هم رجال ونحن رجال.

وبعد:

فهذا الكتاب "الحجاب رؤية عصرية"مليء بالأغلاط والأحقاد مما يشوش علي الناس دينهم وأخلاقهم واجتماعياتهم وهو خارج عن السياق الديني والاجتماعي وشاذ مقصود الكتاب والسنة وفهم علماء الأمة.

شاكرين ولكم تحياتي

أ.د/ علي جمعة
مفتي الجمهورية

أكتوبر تنفرد

وفي عددها الصادر بتاريخ ٥ نوفمبر انفردت مجلة أكتوبر بنشر الخبر في

باب اتجاه الريح تحت عنوان "الأزهر يوصى بمنع تداول كتاب لإقبال بركة يهاجم الحجاب" وقالت المجلة ما نصه:

أوصى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بمنع تداول ونشر كتاب (الحجاب رؤية عصرية) للكاتبة الصحفية إقبال بركة رئيس تحرير مجلة حواء والذي يهاجم الحجاب. كان المجمع قد أوكل عملية فحص الكتاب لفضيلة الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية بناء على شكوى وردت للمجمع من مؤلف كتاب (مسلمات فى دائرة الخطر) خالد البحيرى أكد فيها أن كتاب (الحجاب رؤية عصرية) والصادر عن دار الهلال به العديد من المخالفات الشرعية والتى تؤكد فى مجملها على عدم مشروعية الحجاب وأن الغرض منه فى عصر النبوة اجتماعي صرف وليس تعبدياً أو دينياً. وبعد فحص المفتى للكتاب كتب تقريراً مطولاً ومفصلاً عن الأخطاء الشرعية الواردة به والتى كانت سبباً فى التوصية بمنع تداول الكتاب.

روزاليوسف تعلق

بعد ثلاثة أيام من صدور مجلة أكتوبر اتصل بي الزميل صبحي مجاهد لاستيضاح الأمر والحصول علي تصريح للنشر في صحيفة روزاليوسف اليومية.. وخرجت الصحيفة بالمانشت الرئيسي لها في صفحتها الأولي بعنوان : " مجمع البحوث الإسلامية يوصي بمصادرة كتاب إقبال بركة" وإشارة إلي أن التفاصيل ص٣ حيث كتب صبحي مجاهد الخبر تحت عنوان: "كاتب غير معروف يتسبب في مصادرة كتاب إقبال بركة" ونقل المحرر تصريحاتي كما هي إلا أنه تعمد أن يحشر وسط الكلام عبارة " وأكد البحيري وهو كاتب غير معروف" !!

إقبال تتعجب

وفي مجلة روزاليوسف الأسبوعية ظهر أول تصريح لإقبال علي قرار منع التداول حيث جاء في عدد السبت ١١ نوفمبر ص ٩٧ ما نصه:

إقبال بركة بعد مصادرة كتابها عن الحجاب:

لم أخالف إجماع العلماء لأنهم لم يجمعوا علي شيء

قالت الكاتبة إقبال بركة ل"روزاليوسف" إنها لا تعرف شيئا عن هذا القرار غير أنها سمعت بعد عودتها من السفر أن كتابها تمت مصادرته بقرار من المفتي الدكتور علي جمعة ولكنها لم تتأكد منه بنفسها، ولم تعرف من كان وراء إصدار هذا القرار في هذا التوقيت ولا تعرف حتي من هو خالد البحيري الذي اتهمها بمخالفة ما أجمع عليه علماء المسلمين. وأضافت إقبال بركة أنها تتعجب لماذا صادروا الكتاب الآن.. ثم تجيب علي نفسها بعد ذلك بقولها:

تمت مصادرة هذا الكتاب في هذا التوقيت لأن الأصوات التي تنادي بالحجاب قد قويت شوكتها ولا تجد من يقف في اتجاهها فقد تراجع الأدباء والمفكرون والمثقفون فتمادي أصحاب هذا الرأي.

وتبدي تخوفها من خلال حوار عبر بريدها الإلكتروني أجرته معها جريدة الأحداث المغربية من مصادرة كتاباتها فيما بعد، وحتي لا تظن أيها القاريء الكريم أنني أضن عليك بالحوار ولا شك أنك متلهف لتري أصحاب الباطل وهم في أسوأ حالاتهم فإليك الحوار كما هو دون تدخل مني وأنا علي يقين بأنك سوف تقرأ من بين سطوره ما قرأته أنا:

إقبال بركة بعد ضجة منع كتابها «الحجاب.. رؤية عصرية":

أتمنى أن أسمع وأرى رأي زملائي الكتاب العرب..!

منذ أيام قليلة شنت قوى الظلام في مصر حملة هوجاء ضد الكاتبة والباحثة المصرية

"إقبال بركة" بسبب كتابها "الحجاب.. رؤية عصرية". ووصلت الحملة إلى المطالبة بضرورة التعجيل بمصادرة الكتاب، لأن قوى الظلام وجدت خلف

دفتي غلافيه أشياء اعتبرتها مخالفة للدين الإسلامي. وقد انطلقت شرارة هذه الحملة من داخل" مجمع البحوث الإسلامية" التابع للأزهر. ومن أجل معرفة الخلفيات التي كانت وراء مصادرة كتاب صدر منذ سنوات،كاتبت «الأحداث المغربية»، «إقبال بركة» عبر عنوان بريدها الإلكتروني وطرحت عليها بعض الأسئلة الخاصة بالموضوع. وخلال هذا الأسبوع توصلنا بجواب الكاتبة المصرية جاء فيه:«الحقيقة أني كنت أعرف أن "المتشددين "يرفضون ما جاء بالكتاب، ولكنهم ظلوا في حيرة من أمرهم حول ما يجب عمله لمحاربته. ومنذ عامين قاضاني محامي من أحد الأقاليم المصرية، رفع قضية، ولكي يثير زوبعة اتهم(معي) كلا من شيخ الأزهر والمفتي ووزير الثقافة ووزير الإعلام... إلخ. وتشكلت لجنة من ١٥ محاميا تطوعوا جميعا للدفاع عني وأصدرت لجنة الحريات بنقابة الصحفيين بيانا برفض اتهامي ومحاكمتي، يعلن تضامن أعضاء اللجنة معي. وكتبت جريدة الأهالي نداء لجمع التوقيعات تضامنا مع "إقبال بركة" وتطوع المحامي الكبير وأستاذ القانون الدكتور محمد نور فرحات بقيادة فريق الدفاع عني. كما أوفد نقيب الصحفيين محامي النقابة سيد أبو زيد للدفاع وانتهى الأمر بشطب القضية، أو تأجيلها، لا أعلم!» وأضافت إقبال بركة:«هذه المرة اتجه محامي آخر(تقصد مؤلف الكتاب الذي بين يديك وأنا لست محاميا بل صحفي أعمل بمؤسسة قومية وأشغل منصب مساعد رئيس تحرير جريدة صوت الأزهر الناطقة بلسان الأزهر الشريف وإلي جانب ذلك فأنا من خريجي جامعة الزهر الشريف)، من أقاليم مصر أيضا..! إلى تقديم شكوى ليحرج بها المفتي وأرفق بها كتابا له ينقل كل ما جاء من فتاوى السلف لفرض الحجاب، ومعه كتابي وطالبه بإبداء الرأي.

وأشيع خبر في مجلة أكتوبر يعلن أن مجمع البحوث الإسلامية يوصي بعدم نشر الكتاب أو بيعه أو إعادة طبعه، وأشيع أن المفتي أصدر أمرا بمصادرة الكتاب، وكتب الكاتب أحمد رجب في "نصف كلمة" يحتج على

المصادرة.. كل هذا وأنا غائبة في سوريا أشارك في الملتقى الإعلامي الأول للجولان. وعدت لأجد ضجة كبرى. وبالطبع أصبت بحالة من التوتر والقلق، فكيف يمكنني المضي في إصدار كتب أو كتابة مقالات تعبر عن رأي بصراحة، في مثل هذا الجو الملبد بالغيوم».

وقالت إقبال في رسالتها الجوابية : "تعلمون أن المتطرفين في كل مكان من العالم لا يتورعون عن ارتكاب جرائم اغتيال كتاب لمجرد الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد خرج عن إجماع العلماء أو أنكر ما هو معروف من الدين بالضرورة وهذه هي التهم الموجهة إلي الآن".

و أنا في انتظار ماستسفر عنه هذه المعركة غير المتكافئة وأتمنى أن أسمع وأرى رأي زملائي الكتاب في كل أنحاء العالم العربي.

وفي ختام رسالتها، تتساءل إقبال بركة عن مستقبل الكاتب العربي في ظل حملات التفكير والمنع والمصادرة : «هل يوافقون على أن تبدأ حملات المصادرة للأفكار المستقلة، وهم يعلمون أنها لن تنتهي..!! هل يجب أن يوصم الكاتب بالجهل والكفر وغير ذلك من التهم لمجرد أنه تجرأ وأعلن رأيا مختلفا؟ هل تحدث كل هذه الأمور لأني امرأة .. ولا تتوقع من المرأة إلا الطاعة والإذعان والترحيب بالقهر واستعذاب المعاناة؟... أرجو أن تجيب الأيام القادمة على هذا التساؤلات. أ.هـ

جريدة الخميس .. وجهة نظر مختلفة

أما جريدة الخميس التي يرأس مجلس إدارتها وتحريرها الإعلامي المتميز عمرو الليثي فقد نشرت مدافعة عن الحجاب لقاءا صحفيا مع كاتب هذه السطور جاء تحت عنوان:

الشاب الذي أبلغ الأزهر عن كتاب إقبال بركة :

خالد البحيري: محتوي الكتاب صدمني فتقدمت ببلاغي للأزهر

جاء فيه:

بادر أحد الكتاب الشباب بتقديم بلاغ إلي مجمع البحوث الإسلامية ضد كتاب "الحجاب رؤية عصرية" للكاتبة إقبال بركة. يتهمها فيه بازدراء حجاب المرأة وأن ما جاء بالكتاب مخالف للشريعة الإسلامية وقام الأزهر بدوره بإصدار قرار بمنع الكتاب من التداول.. تقابلنا مع هذا الشاب ويدعي خالد البحيري.. كاتب شاب وله عدة مؤلفات دينية.. فماذا قال؟

-كيف تعرفت علي الكتاب ولماذا بادرت بتقديم الشكوى إلي مجمع البحوث الإسلامية؟

لفت نظري في مكتبة دار الهلال كتاب جديد بعنوان "الحجاب رؤية عصرية" وعلي الغلاف صورة للمنقبات وفي الغلاف الخلفي صورة للكاتبة إقبال بركة بدون حجاب.. أو غطاء للرأس.. وبقراءة الكتاب وجدت معلومات دينية عن الحجاب مغلوطة وخارجة عن السياق الديني والاجتماعي.

-هل نصبت نفسك وصيا علي الدين والأخلاق حتي تصدر حكمك علي كاتبة بقدر إقبال بركة بان كتابها به معلومات خارجة عن السياق الديني والاجتماعي.. وأليس هذا عودة لدعاوي الحسبة؟!

بعد قراءاتي لهذا الكتاب انتابني شعور بأن الكاتبة استطاعت أن تنتزع الأحاديث والآيات عن سياقها وتفسيرها .. تفسيرات خاطئة.. وتعرض لآراء كتاب مجاهيل -كما قال المفتي- فهم كتاب معروفون بفكرهم الشاذ، ومردود علي كتبهم منذ زمن بعيد، فوجدت من واجبي أن أفند هذه المزاعم.. فتقدمت ببلاغ إلي مجمع البحوث الإسلامية.. والذي أصدر قرارا بمصادرة الكتاب وعدم تداوله لما به من أفكار شاذة.

-الا يعد ذلك مصادرة علي حرية الفكر، وضد مبدأ الثقافة.. خاصة وأنت لك العديد من المؤلفات..؟!

ليس من حق أي إنسان أن يطرح اجتهاد .. أو يبدي رأيا في أمور قطعية الثبوت والأزهر –هو المرجعية الدينية الرسمية العليا في الدولة بنص الدستور– هو الذي قال كلمته.

–ما ابرز النقاط التي جاءت بالكتاب وتعتبرها من وجهة نظرك أنها مخالفة للشرع وما ردك عليها؟!

الأستاذة إقبال بركة .. تدعو أن يترك أمر الحجاب وفق إرادة المرأة وليس فرضا وهذا من الخطورة بمكان لأن الأحكام الشرعية ثابتة ثبوتا قطعيا من القران والسنة فلا يكون للإنسان الحرية في تطبيقها من عدمه.. كما أن الكاتبة أرجعت كل الآيات الواردة في شأن الحجاب إلي أنها خاصة بزوجات النبي صلي الله وسلم دون باقي النساء وهذا خطأ .

–إذا كان هذا الكتاب به مخالفات شرعية فلماذا لم يبادر الأزهر بمنع تداوله من تلقاء نفسه..؟!

الأزهر يتحرك إلا بناء علي أمرين.. الأول: أن يتقدم المؤلف بكتابه إلي لجنة البحوث والتأليف والنشر لفحصه قبل الطبع للحصول علي تصريح بعد مراجعته و بالتالي يخرج خاليا من الأخطاء.

الثاني هو تقديم شكوى لطلب الفحص وإذا وجد الأزهر به مغالطة يصدر قرار بمنعه من التداول.

–هل قامت الكاتبة ا لكبيرة باتخاذ أي إجراء ضدك.؟!

كل الإجراءات التي اتخذتها أنا هي إجراءات قانونية وأنا لم أصدر قرار المصادرة بل أصدره الأزهر وهو المنوط به مناظرة كل ما يمس الدين.

–قد تتعرض لهجوم من كتاب ومثقفين كثيرين.. فما دفاعك؟!

مادام الفكر يواجه بالفكر.. فبلاشك أن الفكر المعتدل والمستنير سينتصر في النهاية.

يقول البعض بأنك تبحث عن الشهرة!!

هذا غير صحيح فأنا لي خمسة مؤلفات ولست بحاجة إلي أن أتسلق علي اكتاف الآخرين.. وكل ما فعلته هو حسبة لوجه الله.

إقبال:

الحجاب ليس من الإسلام وسأستمر فى محاربته

أما عن الموقف النهائي لإقبال من الحجاب فهو إنكار أن يكون الحجاب من تعاليم الإسلام .

وسوف أنقل لك ما قالت بالحرف الواحد لتري مدي الحقد الكامن في نفسها علي شعيرة الحجاب ومدي الكره الدفين في تفكيرها لكل ما هو إسلامي.. ولن أعلق علي كلامها فبعد هذه الرحلة معي في الكتاب أظنك قادر علي معرفة الغث من الثمين والحق من الباطل..

حيث قالت: إن الحجاب هو امتداد للعصور الجاهلية وسأستمر فى محاربته و أن الجذور التاريخية للحجاب ترجع إلى الحضارة الآشورية وذلك فى ظل ظروف أمنية ومجتمعية معينة وقد امتد هذا الزى عبر العصور وورثته الحضارة الإسلامية .

وأكدت فى حوار تليفزيوني على قناة اليوم على انه لا توجد دلالات واضحة فى أن يكون الحجاب تكليف ديني على المرأة المسلمة

وقالت: إن الآيات التى جاءت فى القرآن بهذا الخصوص هي من الآيات المتشابهات واختلف العلماء فى تفسيرها ، أما عن الأحاديث التي تأمر المرأة بلبس الحجاب فشككت بركة فى صحتها وقالت إن مسندها ضعيف جدا .

وقد أرجعت السبب وراء انتشار الحجاب إلى ما أسمته قهر الرجال للنساء

وقالت: إن الحجاب هو علامة من وصاية الرجل وتسلطه على المرأة .

وأشارت إلى أنها تشعر بالحزن الشديد عندما تشعر أن الحجاب فى ازدياد مضطرد .

وقالت: إن الحجاب الآن ليس له أية فائدة حيث انه لا يحمى كما كان يحمى النساء فى العصور الماضية و أن من وقعن فريسة لحالات التحرش الجنسي فى وسط القاهرة كان من بينهن مرتديات للحجاب .

وعن إضرار ارتداء الحجاب على المرأة قالت: إن المرأة التى ترتدي الحجاب تعتبر نفسها عورة لا يجب الكشف عنها و يرسخ فى نفسها أنها يجب أن تختفي من المجتمع .

وأكدت أن وجود الحجاب بهذا الانتشار الواسع هو إشارة على تقليل المجتمع لمكانة المرأة ودورها حيث انه اعتبرها عورة .

وأشارت إلى أن أخوات وبنات حسن البنا لم يكن مرتديات الحجاب وأرجعت دخوله وانتشاره فى مصر إلى الهجرات التى حدثت إلى الخليج فى فترات السبعينيات حيث صدرت دول الخليج إلى مصر هذا الزى.

الرد الذي أقره الأزهر علي

مزاعم "إقبال بركة" حول الحجاب

كنت قد خبرتك منذ قليل بأنني فندت الرؤية العصرية التي ادعتها إقبال حول الحجاب وقد وافق الأزهر علي هذه الردود ولم يطلب تعديل كلمة واحدة منها ضمن موافقته علي كتاب "مسلمات في دائرة الخطر" حيث ورد الرد في الفصل الأول منه.. وقد وصفت إقبال ما كتبته بأنه نقل لفتاوى السلف حول الحجاب.. والنقل عن السلف ليس عيبا أو سبة، لكنني كما ستري بنفسك طرحت فيه رؤية أحسبها منصفة، ورأيت من المفيد أن أعيد نشر هذا الجزء في كتابنا هذا ليتيسر لمن لم يطلع علي الكتاب الأول مطالعته ها هنا.. وقد ورد الباب تحت عنوان (مزاعم "إقبال بركة " حول الحجاب) وجاء فيه ما نصه:

وضعت الكاتبة الصحفية السيدة "إقبال بركة"أساسا لمن يختلف معها في الرأي حول ما سطرته في كتابها "الحجاب رؤية عصرية" بقولها في المقدمة:

وليس لي في النهاية إلا أن أرجو الله المغفرة إذا كنت قد أخطأت وأن أرجو من يقرأ هذا الكتاب ويخالف ما جاء فيه أن يتذكر قوله تعالي :

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ,١

وأردد ما قاله الإمام الشافعي " إذا رأيتم في أقوالي ما لا يوافق كتاب الله وسنة رسوله فاضربوا به عرض الحائط٢ ,

وهو أسلوب قويم يسع فكر الجميع ويتيح الفرصة للحق أن يظهر علي الباطل دونما غوغائية أو تمسك برأي، ولو لم تطلب الكاتبة ذلك لكان منهجنا، وهو ما سوف نتبعه معها في مناقشتنا لبعض النقاط التى وردت في الكتاب

الذي صدر عن مؤسسة دار الهلال والذي جاء فيه بعض ما يخالف تعاليم الإسلام.

تساؤلات إقبال ٣:

بدأت الكاتبة بتساؤلات تدور علي ألسنة بعض من بنات جنسها: " وتغرق المرأة المسلمة المعاصرة في بحر من التساؤلات التى لا تجد لها إجابات شافية: ألبس الحجاب أم لا ألبسه؟! أكشف عن وجهي وكفيّ أم أخفيهم؟! أكتفي بإيشارب لإخفاء شعري أم لابد من أن أخفي النحر وفتحة الصدر أيضا؟! هل النقاب حلال أم حرام ؟! وإذا لم ألبس الحجاب هل أكون عاصية آثمة كما تردد في كتابات بعض الداعين إليه أم أن الله غفور رحيم؟! وإذا لبسته هل أبدو متخلفة عن العصر واقعة في الفكر الحريمي متخلية عن كل ما يقدمه لي عالم اليوم من حقوق وحريات..؟!, ٤

والحقيقة أن هذه التساؤلات موجودة بالفعل عند فئة معينة وهي التى لا تعرف عن دينها إلا قليلا وتكاد تنعدم عندهن الثقافة الدينية، وعند أولئك الذين تربوا علي فكر يخالف ما جاءت به تعاليم الشرع الحنيف.

وقد بدا من مقدمة التساؤلات أن الكاتبة تريد أن تجعل من الحجاب قضية كبري فقالت: وتغرق المرأة المسلمة المعاصرة..الخ. مع أن هذا ليس بصحيح فالمسلمة الحقيقة لا تغرق في تساؤلات حسمت منذ بدايات الدعوة المحمدية وُمجمع علي أجوبتها منذ ما يزيد علي ألف وأربعمائة عام.. لكن علي أية حال فقد جعل من يعملون تحت مسمي "تحرير المرأة" من الحجاب قضية كبري،

وكنت أنتظر من كاتبة السطور- كقاريء - أن تحدد المفاهيم أولا قبل أن تنطلق وتخوض في القضية، فمن المفيد أن يعرف الناس الفرق بين الحجاب والخمار والنقاب، حتى يكون الكلام علي بينة.

ولذلك سوف أحاول أن أوضح الفرق بين هذه المسميات:

الخمار:

التَّخْمير: التَّغْطية ومنه الحديث "إنه أُتِي بإناءٍ من لَبن فقال هلاَّ خَمَّرْتَه ولو بعُود تَعْرِضُه عليه". ومنه الحديث "لا تَجِدُ المؤمن إلاَّ في إحدى ثلاث في مسجدٍ يَعْمُره أو بَيْت يُخَمِّرهُ أو مَعِيشةٍ يُدَبِّرها" أي يَسْتُره ويُصْلِح من شأنه. ومنه حديث سَهل بن حُنَيْف انْطَلَقْت أنا وفُلان نَلْتَمِس الخَمَرَ الخَمَر بالتحريك كل ما ستَرك من شجر أو بِناء أو غيره.

وفيه أنه كان يَمْسَح على الخُفّ والخِمَار أراد به العمامة لأن الرجل يُغَطِّي بها رأسَه كما أن المرأة تغطِّيه بخمارها ,٥ويقال خمرت المرأة رأسها بالخمار أي غطته.

قال الإمام الحافظ ابن كثير: والخُمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطي به الرأس وهي التى تسميها الناس المقانع ,٦

مما سبق يتبين أن الخمار هو: كل ما تغطي به المرأة رأسها.

الحجاب:

يقال: حَجَبَهُ حَجْباً وحِجاباً: سَتَرَه، كحَجَّبَهُ، وقَدِ احْتَجَبَ وتَحَجَّبَ. والحِجابُ: ما احْتُجِبَ به، وهو ما حالَ بينَ شَيْئَيْنِ٧,

إذن الحجاب : مصدر يدور معناه لغة على : السَّتر والحيلولة والمنع .

ومنه قوله تعالي: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)٨

النقاب:

القناع تجعله المرأة علي مارن أنفها تستر به وجهها٩،
هو ما تغطي به المرأة وجهها عن الناس. وفي الغالب لا يظهر منه سوي العينين.

معني الحجاب في قوله تعالي :" (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)١٠:
يقول الإمام الطبري في تفسيره:

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول: وإذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعا (فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) يقول: من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهم) يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التى تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل.
وقد قيل:إن سبب أمر الله النساء بالحجاب، إنما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معهما، فأصابت يدها يد الرجل ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن أنس ، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن ؟ قال: فنزلت آية الحجاب.

ويقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: روى أبو داود الطيالسي عن أنس بن مالك قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع... ، الحديث. وفيه: قلت يا رسول الله ، لو ضربت على نسائك الحجاب ، فإنه يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله عز وجل " وإذا سألتموهن متاعا

فاسألوهن من وراء حجاب ".

واختلف في المتاع ، فقيل: ما يتمتع به من العواري وقيل فتوى. وقيل صحف القرآن. والصواب أنه عام في جميع ما يمكن أن يطلب من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا.

وفي هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض ، أو مسألة يستفتين فيها . ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة ، بدنها وصوتها ، كما تقدم ، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها ، أو داء يكون ببدنها ، أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها.

"ذلكم أطهر لقلوبكم": يريد الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال،أي ذلك أنفي للريبة وأبعد للتهمة وأقوي للحماية، وهذا يدل علي أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.

"وقلوبهن" هذا تكرار للعلة وتأكيد لحكمها، وتأكيد العلل أقوي في الأحكام.

ويفهم من هذا: أن الحجاب في الآية يعني سترا يضرب بين الرجل والمرأة بحيث يسمع كلاهما الآخر دون رؤيته.أو هو قصر المرأة في بيتها والحظر عليها أن تخالط الرجال، وهذا موجود حتى الآن في كثير من الدول الإسلامية حيث يوجد مكان مخصص للنساء لا يصل إليه إلا محارمهن. وقد تم الاستعانة بالوسائل الحديثة لتثبيت هذا الأمر حيث اعتاد بعض الناس في عصرنا استضافة أحد الدعاة في منزلهم وتكون هناك جلسة للرجال مع الشيخ، أما النساء فيسمعن الدرس عن طريق مكبر صوت صغير يوضع في المكان الخاص بهن، وإذا أرادت إحداهن استفسارا كتبته في ورقة وأرسلتها مع أحد الأطفال ليرد الشيخ عليه. ويبالغون في ذلك مبالغة شديدة فيكتمون أسماء النساء ولا يكادون يتلفظون بها أمام الأجانب.

ويبقي سؤال يطرح نفسه:

هل الأمر الوارد في الآية الكريمة خاص بأمهات المؤمنين دون غيرهن؟ أم أن الأمر وإن كان في ظاهره لزوجات الرسول صلي الله عليه وسلم فهو عام لكل نساء المؤمنين؟

المتابع لما أوردناه من تفسير الآية عند القرطبي والطبري يري أن الأمر في الآية وإن كان موجها لنساء النبي إلا أن نساء المؤمنين مطالبات بذلك-وهو الاحتجاب بعيدا عن عيون الرجال- إلا لحاجة كإدلاء بشهادة أو تقديم مظلمة أو ما شابه ذلك وهو ما يسير عليه بعض المسلمين من أنصار التيارات الدينية المتشددة والمغالية في فهمها للنصوص القرآنية.

لكن ما عليه إجماع المسلمين هو أن الأمر خاص بنساء النبي صلي الله عليه سلم. وأخطأ من قال إنه يجري فيها قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن لفظها خاص لا عام.

فقد أجمع المسلمون علي شرعية صلاة النساء في المساجد مكشوفات الوجه والكفين وأجمعوا علي إحرام النساء بالحج والعمرة كذلك، نعم إنهن كن يصلين الجماعة وراء الرجال ولكنهن كن يسافرن مع الرجال محرمات ويطفن بالبيت كذلك ويقفن علي عرفات ويرمين الجمار علي مشهد من الرجال في عهد النبي صلي الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين. وكن يسافرن مع الرجال إلي الجهاد ويخدمن الجرحي ويسقينهم الماء ومنهن نساء النبي صلي الله عليه وسلم. وقد قاتل نساء المهاجرين في موقعة اليرموك. وكن يخدمن الضيوف ويقاضين الرجال إلي الخلفاء والحكام.

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يأمر الذي يريد خطبة امرأة أن ينظر إليها ولو بدون علمها مع منع التجسس علي النساء والتطلع لعوراتهن.

وأجمع المسلمون علي جواز شهادة المرأة للنص عليه في كتاب الله وأمره

باستشهادهن، وعلي صحة بيعها وشرائها وسائر تصرفاتها فيما تملك، وعلي تلقيها العلم عن الرجال وتلقيهم عنها، علي تفصيل في أحكام فرض العين وفرض الكفاية والمندوب فيه.

وما يكون من شيء من ذلك من وراء حجاب. ١١

معني الخمار في قوله تعالي: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)١٢

الخمر: جمع الخمار، وهو ما تغطي به رأسها ;ومنه اختمرت المراة وتخمرت ، وهي حسنة الخمرة. والجيوب: جمع الجيب ، وهو موضع القطع من الدرع والقميص، قال مقاتل: " على جيوبهن " أي على صدورهن ;يعني على مواضع جيوبهن.

وسبب نزول هذه الآية أن النساء كن في ذلك الزمان إذا غطين رءوسهن الأخمرة وهي المقانع سدلنها من وراء الظهر ;فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر على ذلك ;فأمر الله تعالى بلّي الخمار على الجيوب، وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها. روى البخاري عن عائشة أنها قالت: رحم الله نساء المهاجرات الأول ;لما نزل: " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " شققن أزرهن فاختمرن بها. ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضي الله عنهم وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك ; فشقته عليها وقالت: إنما يضرب بالكثيف الذي يستر١٣.

ومن الآية يؤخذ دليل فرضية تغطية المرأة لرأسها بالإضافة إلي صدرها ونحرها.

معني الجلابيب في قوله تعالي:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً). ١٤

يقول الإمام القرطبي: لما كانت عادة العربيات التبذل ، وكن يكشفن وجوههن

كما يفعل الإماء ، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن ، وتشعب الفكرة فيهن ، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن (وذلك فوق الأخمرة) إذا أردن الخروج إلى حوائجهن ، وكن يتبرزن في الصحراء قبل أن تتخذ الكنف(دورات المياه)- فيقع الفرق بينهن وبين الإماء١٥ ، فتعرف الحرائر بسترهن١٦، فيكف عن معارضتهن من كان عزبا أو شابا. وكانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تتبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن أنها أمة ، فتصيح به فيذهب ، فشكو ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية بسبب ذلك. والجلابيب جمع جلباب ، وهو ثوب أكبر من الخمار. وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء. وقد قيل: إنه القناع. والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن. وفي صحيح مسلم عن أم عطية: قلت: يا رسول الله. إحدانا لا يكون لها جلباب ؟ قال: (لتلبسها أختها من جلبابها). واختلف الناس في صورة إرخائه ;فقال ابن عباس وعبيدة السلماني: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها. وقال ابن عباس أيضا وقتادة: ذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده، ثم تعطفه على الأنف ، وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه.
وقال الحسن: تغطي نصف وجهها١٧ .

معني السفور:

هل يعني السفور كشف الوجه؟ أم أنه يعني كشف الرأس والوجه وبالتالي كشف النحر والصدر أيضا؟

جاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي: سفرت المرأةُ: كشَفَتْ عن وجْهِها، فهي سافِرٌ،وقال بعضهم: "سفر" معناه: الكشف، يقال: سفرت المرأة سفورًا: إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة.

ويختلف مفهوم السفور من تيار إلي تيار آخر، فبينما يعني السفور في فكر المؤيدين لوجوب تغطية وجه المرأة وكفيها، كشف الوجه، يعتبر آخرون

سفور المرأة هو خروجها إلي المجتمع والتعامل مع الرجال سواء في العمل أو التعليم أو البيع والشراء وقضاء حوائجهن، ولا يستلزم ذلك خلع غطاء الرأس وكشف الصدر والرقبة، بل كشف الوجه فقط علي اعتبار انه ليس بعورة.

ويعني السفور في فكر "هدي غانم شعراوي" ومن يسرن علي ضربها: تخلص المرأة من غطاء رأسها وغطاء وجهها، وخروجها للمجتمع دون تقيد بزي معين للمرأة وهو ما دفعها-هدى شعراوي- إلي تسيير مظاهرة نسائية ضخمة لأول مرة في تاريخ مصر وفي وسط ميدان عام خلعت المشتركات في المظاهرة البرقع(غطاء الوجه) والحجاب (غطاء الشعر) وأشعلن فيه النيران وهكذا سفرت المرأة المصرية وارتدت زي الأوروبيات بما فيه زى العوم العاري (المايوه) ظنا منهن أن ذلك سوف يؤدي إلي مساواتهن بالرجال.

وهم في ذلك يدّعون تطبيق فكر "قاسم أمين" مع انه لم يقل ذلك وكان لا يرى رفع الحجاب كلية، وردد ذلك في مقدمة فصل حجاب النساء إذ يقول: "ربما يتوهم ناظر أنني أرى رفع الحجاب بالمرة، لكن الحقيقة غير ذلك؛ فإني لا أزال أدافع عن الحجاب، وأعتبره أصلا من أصول الآداب التى يلزم التمسك بها، غير أني أطلب أن يكون منطبقا على ما جاء في الشريعة الإسلامية وهو- علي ما في تلك الشريعة- يخالف ما تعارفه الناس عندنا، لما عرض عليهم من حب المغالاة في الاحتياط والمبالغة فيما يظنونه عملا بالأحكام حتى تجاوزوا حدود الشريعة وأضروا بمنافع الأمة.

والذي أراه في هذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا في إباحة التكشف للنساء إلي درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة وما لا ترضاه عاطفة الحياء. وقد تغالينا في طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعا من المقتنيات، وحرمناها من كل المزايا العقلية والأدبية التى أعدت لها بمقتضي الفطرة الإنسانية، وبين هذين الطرفين وسط هو الحجاب الشرعي وهو الذي

أدعو إليه١٨.

ويتبين مما سبق أن هناك خلطا بين المسميات ولذلك نستأذن القاريء الكريم أن نذكر كلمة الحجاب لشيوعها وتكرارها علي أن نقصد بها غطاء الرأس مع الصدر والنحر أي بدلا من كلمة "الخمار".

حكم تغطية الشعر

نعود مرة أخري إلي كتاب "الحجاب رؤية عصرية" للكاتبة الصحفية "إقبال بركة" حيث تقول في معرض حديثها عن الحجاب في القرآن الكريم :"..ورغم أن الآيات لا تذكر شيئا عن الشعر فقد قالوا بأن المرأة عليها أن تغطي شعرها لأنه مصدر الفتنة فيها، بينما من المسموح لها أن تضع الكحل لتظهر سحر عينيها، والخضاب(أي المكياج والمانيكير بلغة العصر) وأن تتزين بكل أنواع الإكسسوارات من أقراط وأساور وخواتم".١٩

والواضح أن الكاتبة لم تكن تعرف أن الخمار الوارد في الآية الكريمة:(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) هو دلالة واضحة علي تغطية الشعر، فلم تكن نساء المسلمين ليخرجن كاشفات الرءوس حتى يأتي الأمر الصريح بتغطيتها وإنما كان الحال أن النساء كن يخرجن وهن يضعن الخُمر علي رءوسهن ولكن يسدلن الأطراف علي ظهورهن أو يتركن الطرف ينزل من الأمام علي الصدر، وبالتالي كانت هناك مناطق عارية وهي منطقة الصدر والرقبة، فجاءت الآية الكريمة لتعدّل الوضع وتأمرهن بأن يمعن في الستر بأن يضربن بخمرهن علي جيوبهن أي فتحة الصدر فلا يظهر من جسم المرأة بهذه الطريقة الرقبة أو الصدر.. إذن الدليل علي فرضية غطاء الرأس موجود.

أما عن السماح للمرأة بأن تضع الكحل فهو شيء لا يؤخذ علي الإسلام بالعكس فالذي خلق المرأة يعلم أنها طبعت علي حب الزينة ولا مؤاخذة عليها في ذلك مسايرة لطبيعتها، ولذلك سمح لها بوضع الكحل في العينين فهو مع

ما يسببه من شكل جميل له فوائد طبية متعددة.

أما أنه سمح لها بالكحل لتظهر سحر عينيها فهو محض افتراء علي الله الذي أمر المؤمنين بغض ابصارهم فقال :(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)٢٠،فكيف يأمر الله المؤمنين بغض أبصارهم ويبيح للمؤمنات التزين لإظهار سحر عيونهن وجمالهن؟!

كما أنه لم يسمح للمرأة وحدها بالاكتحال بل سمح للرجل أيضا به وفعله الرسول صلي الله عليه وسلم فعن ابن عباس أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال: "اكتحلوا بالإثمد٢١ فإنه يجلو البصر وينبت الشعر" ,٢٢ وعنه قال: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام بالإثمد ثلاثا في كل عين٢٣ ,

الأمر إذن لم يكن للنساء دون الرجال ولم يكن الهدف منه تمييز المرأة وإظهار سحر عينيها كما زعمت الأستاذة إقبال، وما قلناه علي الكحل ينسحب علي الخضاب أو الحناء، وفرق كبير بين ذلك وبين أدوات المكياج- التى تعرفها الكاتبة أكثر مني- التى تلطخ بها المرأة وجهها من منبت الشعر إلي منتهي الذقن ما بين بودرة وأشياء توضع فوق الجفن وعلي الرموش ومواد تدهن بها الخدود وأخري للشفاه وما إلي ذلك من وجوه الزينة المختلفة التى لا يحرم الإسلام المرأة منها ولكن - فقط- ينظم ظهورها به أمام زوجها ومحارمها والأجانب عنها.

الغرض من آيات الحجاب

قالت الكاتبة : "وقد أجمعوا علي أن الغرض من الآيات لم يكن تعبديا أو دينيا وإنما اجتماعيا صرفا وهو حماية النساء المسلمات الحرائر من المستهترين من شباب المدينة والمنافقين والصعاليك الذين يلحقون بهن الأذى".

ولا أدري من أين جاءت بكلمة "أجمعوا" فالمعلوم أن التفسير أو التأويل

يختلف من مفسر لآخر حسب مقدار فهمه للمراد الإلهي من النص الكريم، وكما سبق وذكرنا أن المفسرين اختلفوا في فهمهم لقوله تعالي: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)٢٤ ففهم بعضهم أن ما ظهر هو الثياب وفهم آخرون أن ما ظهر هو الوجه والكفان والخاتم، إذن من أين جاء الإجماع ؟!
ثم إن معني كلامها أنه إذا أمنت المرأة علي نفسها من الصعاليك فلا مانع أن تخرج علي الناس عارية الرأس بادية الزينة، أو بمعني آخر أن الحكم بالحجاب حكم وقتي مرتبط بظروف معينة ومنوط بوضع خاص ومتي زال الوضع وتغيرت الظروف تعين وقف الحكم، وهذا أمر خطير إذ من شأنه نسف فريضة الحجاب، وهذا أمر لا يخفي علي من تابع تطور الحركات النسوية من أوائل القرن الماضي.

ونقول لها: لو كان غرض الشارع الحكيم هو تمييز الحرائر عن الإماء فقط لكان من الممكن أن يتم ذلك بوسائل أخري كأن تتعري الإماء أكثر.

الأمر-يا سيدتي- له علاقة بالفضيلة التى تستلزم ستر المفاتن وحجب العورات، فالستر هو الواقي من الأذى، ومن ثم فأحكام الحجاب معللة دائما بعلة دائمة، لا علاقة لها بوجود مؤقت للإماء، ولا بوضع محلي ومرحلي، مثل التغوط خارج البيوت!...وليست العلة مجرد التمييز بين الحرائر والإماء.٢٥ ,

لقد أمرت المرأة بالحجاب وستر العورات حتى وهي ذاهبة إلي المسجد، وبالحجاب حتى وهي في منزلها إذا حضر غير محرم، ووضع الإسلام نظاما خاصا بهذا، قال تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)٢٦ وسبب نزول الآية أن امرأة أنصارية جاءت إلي سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم تقول: يا رسول الله إني أكون في بيتي علي حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا علي تلك الحال فكيف أصنع؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة التى تعلم المسلمين أدب الدخول إلي البيوت حتى

وإن كانت بيوت عائلاتهم وذويهم.
فالتشريع هو للحجاب وستر عورات النساء، من غير المحارم - حتى من الأهل- في داخل البيوت.

ولعله قد وضح لكل ذي بصيرة أن الحجاب هنا إنما شرع لغرض ديني، لأجل تنظيم العلاقات الاجتماعية بين البشر لتسير علي النحو الذي ارتضاه الله لعباده، وان هذا التشريع مستمر وباق إلي يوم القيامة، ولا علاقة له لا بالمراحيض أو تمييز الحرائر عن الإماء.

ثم إن المدينة وإن كان بها أيام الرسول صلوات الله وسلامه عليه عدد من غير المسلمين من المتسكعين والمتلصصين والصعاليك، فهو مقارنة بأيامنا هذه ضئيل جدا فلا يكاد يخلو زقاق أو حارة أو شارع من عدد من المستهترين الذي يأكلون الرائحة والغادية بعيونهم الجائعة ويمطرونها بكلمات تصف جسمها وتراودها عن نفسها وهم- يا سيدتي - كما لا يخفي عليك- كثيرون جدا! وهذا مدعاة لأن نستمسك بتشريع الحجاب أكثر وأكثر.

الإرادة الحرة

ومن الطريف الذي ذكرته الكاتبة اللامعة :"وواقع الأمر أن الآيات الكريمة لم تذكر أعضاء المرأة التى يجب أن تظهر أو تختفي، ولم تصرح بزي محدد يفرض علي المؤمنات في كل زمان ومكان بل تركت ذلك لكل عصر تختار فيه المؤمنات وفق إرادتهن الحرة ما يحقق لهن الاحتشام وعدم التبذل وعدم اتقاء الفتنة". وهي في ذلك تتابع ما كتبه جمال البنا في كتابه: "المرأة المسلمة بين تحرير القرأن وتقييد الفقهاء".

ونقول: لو صح ما قالته كاتبتنا لكان لكل مسلم أن يختار الوقت الذي يصلي فيه وبالكيفية التى يريدها، بل ويحدد لنفسه عدد الركعات والسجدات وفق إرادته الحرة بما يحقق له الالتزام والقيام بفرضية الصلاة حيث لم يرد في القرأن الكريم ما يوضح لنا عدد الصلوات في اليوم والليلة وعدد الركعات

في كل صلاة والطريقة التى يؤدي بها المؤمن الصلاة، فالقرآن الكريم قال فقط:(إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)٢٧!!

ولو صح -أيضا- ما ذهبت إليه -إقبال- لكان من حق كل مسلم أن يقدر لنفسه مقدار الزكاة الواجب عليه إخراجه من ماله إذا بلغ النصاب، بل ويحدد النصاب لنفسه وفق إرادته الحرة وحسب ما تفرضه عليه ظروف المكان والزمان وبما يحقق مصلحة الفقراء، فلم يرد تفصيل لذلك في القرآن الكريم وإنما كان الأمر مجملا علي النحو التالي: (وَآتُوا الزَّكَاةَ)

يا سيدتي: معلوم لدي كل المسلمين أن القرآن الكريم كتاب جاءت فيه بعض الأحكام مجملة وبيان تفصيلها في سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم، ولو لم يكن الأمر كذلك لما أمر الله المسلمين بإتباع ما جاء به الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم ولكن الأمر جاء خلاف ذلك: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).٢٨وجاء البيان الرباني ليؤكد أن طاعة الرسول صلي الله عليه وسلم من طاعة الله: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً).٢٩

ومما جاء في السنة قال يعقوب بن دريك عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال يا أسماء: "إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يري منها إلا هذا وهذا وأشار إلي وجهه وكفيه" ٣٠.

وقالت السيدة إقبال عن هذا الحديث: وفي مسألة الحجاب ينسب إلي عائشة رضي الله عنها حديث يقول:"إن أسماء..الحديث" ذكره أبو داود وقال عنه هذا مرسل: ابن دريك لم يدرك عائشة. وفضلا عن ذلك لم يرد هذا الحديث في البخاري ولا مسلم ولا مسند ابن حنبل ولا بقية الصحاح.. وكتبت في الهامش: الحديث المرسل هو الذي يسند إلي أحد التابعين وليس إلي

الصحابي وقد ضعفه جمهور المحدثين ومن بينهم الشافعي وابن حنبل٣١.
ونقول: صورة الحديث المرسل أن يقول التابعي(وهو الذي لم ير رسول الله صلي الله عليه وسلم لكنه أدرك أحدا من أصحابه) - سواء كان صغيرا أو كبيرا- قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كذا أو فعل كذا أو فُعل بحضرته كذا(دون ذكر الصحابي الذي أخبره بذلك) وهذه صورة المرسل عند المحدثين٣٢.

والحديث المرسل صحيح يحتج به عند الأئمة الثلاثة أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل في المشهور عنه وطائفة من العلماء بشرط أن يكون المرسل ثقة ولا يرسل إلا عن ثقة وحجتهم أن التابعي الثقة لا يستحل أن يقول: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا إذا سمعه من ثقة٣٣، ولذلك صححه الشيخ الألباني إذ لم يقل أحد بأن ابن دريك ليس ثقة.
أما كون الحديث لم يرد في صحيح البخاري أو مسلم فهذا لا يقدح في الاستدلال به فأحاديث كثيرة صحيحة لم ترد في البخاري ومسلم ويستدل العلماء بها.

شبهة ورد

وتواصل السيدة إقبال تفسيراتها التى تريد الوصول من خلالها إلي أن الإسلام لم يأمر المرأة بوضع غطاء علي رأسها، تقول: وهناك حديث رابع:" لا تقبل صلاة الحائض(المرأة البالغ) إلا بخمار".. فلو أن الأصل أن تضع المرأة غطاء علي رأسها عموما لما كانت ثمة وصية- ولا مناسبة- لأن يطلب منها وضع الخمار علي رأسها أثناء الصلاة. فحديث الخمار يفيد أن المرأة لم تكن دائما وأصلا تضعه علي رأسها كما ان الحديث يوصي بأن تضع خمارا(لتغطي شعرها) وقت الصلاة فقط٣٤.
وهي من خلال هذا الكلام تعلن صراحة عما تريد أن يتم تعاطيه بالنسبة لمسألة الحجاب وهو قصره علي وقت الصلاة فقط، وهي بذلك تسير علي خطي

سعيد العشماوي الذي ذكر هذا الكلام في كتبه.

ونقول: هل في الحديث ما يوحي -أو حتى يوهم- بهذا التفسير الذي ساقته-الكاتبة المتفردة-؟! يا سيدتي هذا الحديث يعني أن ستر العورة من شروط صحة الصلاة ولو رجعنا قليلا لعلمنا أن الخمار ما يغطي الرأس وأمر الإسلام به بضربه علي الصدر والنحر، ولكي لا تصلي المرأة دون أن تكون هيئتها هكذا جاء التأكيد علي الصلاة بالخمار، ثم أليس من الممكن أن تصلي المرأة في بيتها وتضع علي رأسها "إيشارب مثلا" يظهر رقبتها وفتحة الصدر؟ بالطبع ممكن، وهذا الحديث ينهاهن عن الصلاة وشيء من الشعر باد، أو شيء من الصدر ظاهر.

ولماذا لا يكون المقصود هو إعلام المرأة بأنها متي بلغت المحيض وجب عليها ستر رأسها في الصلاة بخمار، إذ إن صلاتها بدونه قبل البلوغ لا تؤثر علي صحة الصلاة، ويقوي هذا الاحتمال حديث أبي قتادة: " لا يقبل الله من امرأة صلاة حتى تواري زينتها، ولا من جارية بلغت الحيض حتى تختمر" ٣٥ وإن كان الأولي تعويد الصغيرة تغطية رأسها في الصلاة وغيرها منذ الصغر.

الهوية الإسلامية

قالت الكاتبة السيدة إقبال: "ويري المؤيدون للحجاب أن الخمار رمز للهوية الإسلامية ،وأن المسلمة الصالحة المعتدة بدينها عليها أن ترتديه حتى تتميز عن الأخريات"٣٦.

ونقول لها: الحجاب الإسلامي فريضة الله على المرأة المسلمة متى بلغت المحيض، وقد اتفقت على فرضيته جميع المذاهب الإسلامية بلا استثناء، وأنه جزء من عبادتها لربها شأنه شأن الصلاة والصيام والزكاة وسائر شرائع الإسلام، وأن الله تعبد به المرأة المسلمة حيثما كانت سواء أكانت داخل البلاد الإسلامية أم كانت خارجها، وأن التخلي عنه من كبائر الإثم الذي يعرض المسلمة لغضب الله وسخطه، وقد دان بهذا المسلمون كافة على مدار العصور

كما أن هذا الحجاب يتمثل في ستر الجسد كله بما لا يشف ولا يصف؛ لا يستثنى من ذلك عند جمهور الفقهاء إلا الوجه والكفان.

إن الحجاب هو الأصل في لباس المرأة المسلمة، ولم يزل كذلك على مدار العصور، مهما تغيرت أنماطه بتغير الثقافات أو البلدان ولكن جوهره يبقى واحدا متمثلا في ستر ما سوى الوجه والكفين؛ فهو جزء من تراثها القومي وخصوصيتها الحضارية والاجتماعية، بالإضافة إلى كونه فريضة دينية وواجبا شرعيا وليس رمزا يدل علي الهوية الإسلامية.

إن حجاب المرأة المسلمة له رسالة مثمنة ومعتبرة في جميع الشرائع السماوية وهي الستر والحشمة، وهو بهذا يختلف عن الرموز الدينية التى لا وظيفة لها إلا الإعلان عن الهوية، مثل الصليب على صدر المسيحي أو المسيحية، أو القلنسوة الصغيرة على رأس اليهودي، فقياس الحجاب على هذه الرموز خطأ بين وخلط ظاهر؛ لأنه قياس واجبات حتمية يأثم تاركها على رموز لا تثريب على تركها، ولا حرج في التخلي عنها. ٣٧

مما سبق يتبين أن: حجاب المرأة المسلمة فرض على كل من بلغت سن التكليف وهي السن التى ترى فيه الأنثى الحيض، وهذا الحكم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ففريضة الحجاب أجمع عليها المسلمون سلفا وخلفا، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، وأنه لا يعد من قبيل العلامات التى تميز المسلمين عن غيرهم فحسب بل هو من قبيل الفرض اللازم الذي هو جزء من الدين، يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"٣٨، وقوله تعالى أيضا: "وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ"٣٩، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا"، وأشار إلى

وجهه وكفيه.٤٠.

شرف المرأة وعفتها

تساءلت صاحبة الرؤية العصرية للحجاب: "هل تستطيع قطعة نسيج أن تحمي شرف المرأة وتجبرها علي العفة..؟!" وهي بذلك تقدح في فائدة الحجاب.
ونوضح لها ما أُشكل عليها - فهي إذا عرفت أنه الحق لا شك أنها تتبعه بمشيئة الله- ونقول: صحيح أن عفة الفتاة الحقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها وهي فاجرة في سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس كاشفة المفاتن لا يعرف السوء سبيلاً إلى نفسها ولا إلى سلوكها.

فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفّة مفقودة، ولا أن تمنحه استقامة معدومة، وربُ فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها.

ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها؟! ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلانًا بأن كل من لم تلتزمه فهي فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال؟!
إن الله عز وجل فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها، وليس حفاظًا على عفتها من الأعين التى تراها فقط، ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان إلا أن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: إن للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها؟!

إن بلاء الرجال بما تقع عليه أبصارهم من مغرياتِ النساء وفتنتهن هو المشكلة التى أحوجت المجتمعَ إلى حلّ، فكان في شرع الله ما تكفّل به على أفضل وجه، وبلاء الرجال إذا لم يجد في سبيله هذا الحلّ الإلهي ما من ريب

سيتجاوز بالسوء إلى النساء أيضًا، ولا يغني عن الأمر شيئًا أن تعتصم المرأة المتبرجة عندئذ باستقامةٍ في سلوكها أو عفة في نفسها، فإن في ضرام ذلك البلاء الهائج في نفوس الرجال ما قد يتغلّب على كل استقامة أو عفة تتمتّع بها المرأة إذ تعرض من فنون إثارتها وفتنتها أمامهم٤١.

ولعل الجواب علي بقية استفسارات-إقبال- أصبح معلوما فهي تتساءل: الا يصح بعد أربعة عشر قرنا من نزول الرسالة واستقرار الإسلام وانتشاره في العالم كله، أن تخلع المرأة حجاب الخوف والجهل وأن يتسلح الجميع، رجالا ونساء، برداء التقوي والعفة والاستقامة؟!

صحيح-يا أيتها الموقرة- أن الأمر قد استتب، وانتشر نور الإسلام في شتي أرجاء البسيطة، لكن النفوس كما هي لم تتغير ونفس صفاتها واحدة منذ بدء الخليقة وحتي نهاية هذا العالم، فهي تحب وتكره، تخضع لبارئها تارة، وتعصيه أخري، تعلو بصفاء لتحلق في عالم في الفضيلة أحيانا، وتنحط إلي وحل الرذيلة أحيانا أخري، وصدق الله العظيم إذ يقول: (كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى)٤٢.

المشكلة تكمن في أن الإنسان – مع كون الرسالة الموجهة إليه قد تمت- له أعداء يتربصون به حتى يوم القيامة، قال الشاعر:

إني بليت بأربع يرمينني
بالنبل من قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
يا رب أنت على الخلاص قدير

وقال آخر:

إني ابتليت بأربع ما سلطت
إلا لعظم بليتي وشقائي
إبليس والدنيا ونفسي والهوى

هؤلاء الأعداء تأثيرهم مستمر علي الإنسان ليس ظلما له وإنما: (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)٤٣ .

ولأن الإنسان قبل أمانة التكليف: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) ٤٤.

ثم أليس من التقوى أن يمتثل الإنسان لأمر ربه، إذ لا تقوي بغير طاعة الله ورسوله، والله فرض الحجاب فكيف يتأتى للمرأة أن تكون متّقية لربها وهي عاصية لأمر صريح من أوامره ؟! هذا يعني أنها تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، وجزاء من يفعل ذلك عند الله عظيم، وتأمل قوله سبحانه :(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)٤٥ .

يا سيدتي: الاستقامة لا تكون وفق هوي الإنسان يحدد ضوابطها ويرسم معالمها بنفسه ولنفسه وإنما يجب أن تكون الاستقامة وفق مراد الله وتبعا لتعاليمه، فحتي الرسل والأنبياء كان الأمر لهم بالاستقامة وفق ما أمر الله، قال تقدست أسماؤه :(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)٤٦ .

وقال جل في علاه:(فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)٤٧ .

وليس للإنسان أن يشرّع لنفسه دينا وإنما الدين من عند الله الواحد

الأحد: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ).٤٨

النقاب.. واجب أم سنة أم بدعة؟!

يتحدد حكم النقاب من خلال تحديد عورة المراة، وهذا يرجع إلي فهم الفقهاء لتفسير قوله تعالي :"إلا ما ظهر منها" وقد تعرضنا له سابقا، ولذلك فمن قال بوجوبه فقد فسر "ما ظهر" علي أنه الثياب، ومن قال بعدم وجوبه فقد فسر "ما ظهر" علي أنه الوجه والكفان وهو ما ذهب إليه الجمهور، ونطمئن إليه ونرجحه.

يقول الإمام الشوكاني في "نيل الأوطار"، عن عورة المرأة: فمنهم من قال: جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين، وإلى ذلك ذهب الهادي والقاسم في أحد أقواله، وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه، ومالك. ومنهم من قال: ما عدا الوجه والكفين والقدمين والخلخال. وإلى ذلك ذهب القاسم في قول، وأبو حنيفة في رواية عنه، والثوري، وأبو العباس.

وقيل: بل جميعها إلا الوجه، وإليه ذهب أحمد بن حنبل. ولم يقل أحد بأن الوجه عورة إلا في رواية عن أحمد-وهو غير المعروف عنه- وإلا ما ذهب إليه بعض الشافعية.٤٩

والذي تدل عليه النصوص والآثار، أن الوجه والكفين ليسا بعورة، وهو ما روي عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما من الصحابة والتابعين والأئمة، واستدل ابن حزم-وهو ظاهري يتمسك بحرفية النصوص- بقوله تعالى: (وليضربن بخمرهن) على إباحة كشف الوجه، حيث أمر بضرب الخمر على الجيوب لا على الوجوه، كما استدل بحديث البخاري عن ابن عباس أنه شهد العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه عليه السلام خطب بعد أن صلى، ثم

أتى النساء، ومعه بلال، فوعظهن وذكرهن وأمرهن أن يتصدقن. قال: فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه-أي المال- في ثوب بلال. قال: فهذا ابن عباس بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أيديهن، فصح أن اليد من المرأة ليست بعورة.

وري الترمذي أن جارية شابة من خثعم استفتت النبي صلي الله عليه وسلم فقالت: إن أبي شيخ كبير قد أدركته فريضة الله في الحج أفيجزيء أن أحج عنه؟ قال: حجي عن أبيك، قال- أي راوي الحديث- ولوي عنق الفضل- أي الرسول الكريم- فقال العباس يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما. وقد لفت جمال الشابة الخثعمية نظر الفضل بن العباس الذي كان يركب خلف النبي صلي الله عليه وسلم فأخذ ينظر إليها حتي نبهه الرسول ولوي عنقه في الجهة الأخري، وفي هذا دليل علي جواز كشف الوجه في الحج.

وهذا بعد نزول آية الحجاب قطعا، لأنه في حجة الوداع سنة عشر، والآية نزلت سنة خمس.

كما أن النساء كن يسافرن مع الرجال إلى ساحات الجهاد والمعارك، يخدمن الجرحى، ويسقينهم الماء، وقد رووا أن نساء الصحابة كن يساعدن الرجال في معركة "اليرموك".

وجاء في فتوي دار الإفتاء المصرية ٥٠ سؤال يقول فيه صاحبه:

هناك من العلماء من يقولون بوجوب تغطية المرأة لوجهها وآخرون يقولون بجواز كشف الوجه واليدين والسؤال: هل لو أخذت المرأة بالرأي الأخير الذي يقول بجواز كشف الوجه ؟ فهل تأثم بذلك ؟ وهل يأثم زوجها أيضاً بصفته رب الأسرة ومسئول عنها أمام الله ؟ أفتونا مأجورين.

فكان جواب فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الجمهورية كالتالي:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ). وقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا).

والحكم الشرعي المستخلص من الآيتين الكريمتين هو وجوب ستر المسلمة جسدها بحيث لا يظهر منه إلا الوجه والكفان على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.

أما النقاب وهو: غطاء الوجه فليس فرضاً ولا سنة ولا مندوباً وكذلك تغطية الكفين بالقفاز وما أشبهه لأنه لم يقم دليل صريح من القرآن ولا من السنة على وجوب ستر الوجه والكفين ومن ثم يكون لبس النقاب والقفاز سلوكاً شخصياً يقع في دائرة المباح ولا حرج على المرأة شرعاً إن هي خلعت النقاب والقفازين واكتفت بالحجاب الذي يغطي الشعر، فقد أباح لها الشرع إظهار الوجه والكفين ولا حرج أيضاً على زوجها في ذلك.وهذا ما أجمع عليه أغلب العلماء وفقهاء المذاهب الأربعة.

رأي مهم لعالم أزهري

بعد أن كنت قد انتهيت من كتابة هذا الفصل جمعت الصدفة بيني وبين أستاذنا الدكتور جمال مصطفي النجار، فقد كنت كعادتي أتجول في معرض الكتب الدائم بكلية أصول الدين بالقاهرة، وبعد أن أعياني البحث في الكتب جلست إلي الصديق والأخ الأكبر محسن شحاتة وهو صاحب دار النشر التي تتولي طباعة الكتاب الذي بين أيدينا وبينما نحن جلوس إذ طلع علينا رجل تبدو عليه علامات التقي والصلاح يحمل في يده كتابا صغير الحجم، دفعه إلي الأخ محسن، لم أستطع الصبر حتي يفرغ محسن من قراءة عنوانه وفهرسه، نظرت من بعيد فإذا عنوان الكتاب "نقاب المرأة واجب؟ أم سنة؟ أم

بدعة؟" تناولت نسخة بيميني ورحت أقلب صفحاتها في هدوء وكأنني أعيش في عالم آخر، فبالرغم من أن الكتاب لا تتجاوز صفحاته ٨٥ صفحة إلا أنه عظيم الفائدة راعي فيه صاحبه الحيدة والموضوعية وابتعد عن المهاترات والجدل العقيم الذي يخلو من فائدة ويفتقر في معظم الأحوال إلي الدليل والحجة ورأيت من واجبي أن اطلع القاريء الكريم علي خلاصة هذا البحث القيم الذي قام به أستاذنا جمال النجار استاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة.. فقد قال تحت عنوان خلاصة هذا الكتاب ما يلي٥١:

أولا: ليس هناك دليل واحد صحيح صريح قطعي الثبوت قطعي الدلالة علي وجوب النقاب ، من القرآن أو السنة، ومن ادعي ذلك فعليه بالدليل، وهيهات هيهات، فدونه صعود أعلي السماوات.

ثانيا: لقائل أن يقول: إن النقاب لو كان واجبا علي المرأة من أجل نظر الرجل إليها، لوجب عليه أيضا هو النقاب، من أجل نظر المرأة إليه، لأن كلا منهما يميل إلي الآخر.

فلما لم يجب النقاب علي الرجل، لم يجب علي المرأة، إذ التكاليف الشرعية يخاطب بها كل من الرجل والمرأة، إلا إذا ورد دليل يخص أحدهما، ولا دليل علي هذا يخص نوعا دون نوع.

ثالثا:هذه المسألة من الأمور المختلف فيها بين العلماء، فجمهورهم وعلي رأسهم أصحاب المذاهب الأربعة يقولون بعدم الوجوب، والقلة منهم يقولون بالوجوب، والراجح قول الجمهور.

رابعا: لا يجوز لأحد إجبار أحد علي مسألة خلافية اختلف فيها الفقهاء، لعدم وجود نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة ولنا في أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في عدم إجبار أحد علي مسألة من هذا القبيل.

وفي ذلك يقول الإمام أحمد بن حنبل :" لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس علي

مذهبه".

خامسا: علي الرغم من اعتقادنا بعدم وجوب النقاب فإننا نحذر من السخرية به وبمن تلبسه، ومن مطالبتها بعدم ارتدائه، فليس هناك ما يجبرها شرعا ولا قانونا من ذلك، بل إننا ندعو المجتمع كله إلي احترامها، ومساعدتها علي التمسك بالفضيلة.

سادسا: ضرورة توافر الأمانة العلمية في الكتابة: حيث وجد عدد غير قليل من القائلين بوجوب النقاب ادعي أن جمهور العلماء ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة ذهب إلي القول بوجوب النقاب ، بينما الأمر عكس ذلك.

سابعا: معظم من قال بوجوب النقاب لا يخلو من أمرين:

عدم امتلاك قواعد البحث العلمي أو عدم تطبيق تلك القواعد علي فهم النصوص تطبيقا صحيحا.

ومن الأمثلة علي ما نقول: استخدامهم ألفاظ الخمار، والاعتجار والجلباب والنصيف، وغير ذلك استخداما خاطئا، كذلك تطبيقهم قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" حيث طبقوها تطبيقا خاطئا علي قول الله تعالي في شأن نشاء النبي صلي الله عليه وسلم: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً).٥٢

ثامنا: تعمد القائلون بوجوب الحجاب ترك الأدلة التي تهدم قولهم، كتفسير ابن عباس الصحيح لقوله تعالي:(إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) بأنه الوجه والكفان، وكتفسيره إدناء الجلباب بأن تشد المرأة غطاء رأسها فوق جبينها وحاجبيها، ولا تضرب به علي وجهها.

تاسعا: تعمد القائلون بوجوب النقاب الاستدلال بأحاديث، وأسباب النزول المتروكة كاستدلالهم بما يروي في سبب نزول قوله تعالي: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ

يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً).٥٣ حيث قالوا: إن رجالا تعرضوا للنساء في الطرقات، فلما كُلموا في ذلك قالوا: نحسبهم إماء لا حرائر فأنزل الله تلك الآية تأمر الحرائر بإدناء الجلابيب ليعرفن أنهن حرائر لا إماء فلا يتعرض لهن الفساق، وقد رددنا علي بطلان ذلك سندا ومتنا، لأن المراد من قوله تعالي:

(ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ) أن يعرفن بالعفة والاستقامة وليس بأنهن حرائر أو إماء.

وقلنا إن السبب لا يصح سندا ولا يقبل متنا لأن شريعة الله واحدة لا فرق بين الحرة والأمة من حيث تعامل الرجال معهن، فلو أن رجلا زني بأمة أقيم عليه حد الزنا الذي يقام عليه لو أنه زنا بحرة دون فرق.

ومن الأمثلة والآثار الضعيفة التي استدلوا بها ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الإدناء تفسيرا عمليا بأن غطي وجهه بالجلباب ولم يظهر إلا العين اليسري، فقد تركوا التفسير الصحيح المروي عنه في الإدناء وهو شد الغطاء علي الجبين والحاجب واستدلوا بهذا الأثر الضعيف.

كما استدلوا بما يروي عن عبيدة السلماني أحد التابعين بأنه فسر الإدناء بأن لا تظهر المرأة من وجهها إلا العين اليسري، ونسوا أن هذا إن صح عن عبيدة فليس فيه حجة، لأن عبيدة تابعي، والتابعي إذا أسقط الصحابي من روايته فحديثه مرسل لا يحتج به، فكيف إذا كان موقوفا عليه فهو أشد ضعفا، لأنه من كلامه هو فلا يكون حجة، خاصة انه خالف ما صح عن الصحابة، فلا يقدم قوله علي قولهم، ولا يؤخذ رأيه وترد آراؤهم.

عاشرا: يلاحظ علي القائلين بوجوب الحجاب أنهم يستدلون في هذا الموضوع بما لا يصح الاستدلال به كالقول بسد الذريعة، وبفساد الزمان.

والقول بمثل هذا إنما يجوز لو أننا عدمنا نصا قرآنيا أو نبويا في ذلك،

ولكننا بفضل الله تعالي وجدنا النصوص في ذلك كثيرة، حيث وجدنا النصوص تفرض علي الرجل والمرأة غض البصر وحفظ الفرج وعدم الخلوة وألزمت المرأة بالزى الشرعي وحرمت عليها إبداء زينتها الخفية للأجانب، وأوجبت عليها الوقار في القول والمشي والحركة، وأوجبت حد الزنا علي من وقع فيه، إلي غير ذلك من تلك الأمور التي لو طبقناها لعشنا حياة الطهر والعفاف.

فلم يترك الله لنا في هذا الموضوع ثغرة لنأتي نحن لنسدها، أما قولهم فساد الزمان فهذا تعليل باطل، لأن شريعة الله ليست وقتية خاصة بزمان النبي صلي الله عليه وسلم وصحابته فقط، فالآيات والأحاديث شاملة لكل زمان ومكان.

أما ما يستدلون به من أن زماننا زمان فتنة، فيجب علي المرأة أن تلبس النقاب، فإن الفتنة موجودة في كل عصر، وأن ميول الرجال للنساء وميول النساء للرجال موجود في كل زمان ومكان، حتي في أطهر زمن وأشرف مكان،وهو زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ففي الحج وفي حضرة النبي صلي الله عليه وسلم كانت الخثعمية سافرة عن وجهها، وافتتن بها الفضل بن العباس رضي الله عنهما وافتتنت به، وكانت وضيئة حسناء، ومع ذلك لم يأمرها النبي صلي الله عليه وسلم بستر وجهها عنه وإنما وجّه الفضل عنها.

حادي عشر: أما القائلون بحرمة النقاب وببدعيته فقد رددنا عليهم، بما يبين سوء قصدهم فهم يعلمون بمشروعية النقاب في الأسلام، وأنه ليس دخيلا علي المجتمع المسلم، فنساء النبي فرض عليهن النقاب، فلو أرادت امرأة أن تقتدي بهن فلا حرج عليها، بل هي مأجورة غير مأزورة.

وأيضا فإن حديث النبي صلي الله عليه وسلم:" لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين" دليل علي مشروعية النقاب، فإنه إن لم يدل علي الوجوب، فإنه يدل علي الجواز في غير الإحرام.

وهكذا يتبين لنا بوضوح وسطية الشريعة الإسلامية، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تساهل، فالنقاب ليس فرضا تعاقب المرأة علي تركه، وليس حراما أو بدعة تعاقب علي لبسه، وإنما هو وسط بين الأمرين، يجوز للمرأة ارتداؤه ويجوز لها تركه، ولكل امرأة أن تفعل ما هو لائق بها، وما هو أنسب لحالها.

صفة اللباس الشرعي للمرأة

أحيانا لا تعرف المسلمة أي شيء من الثياب يوافق الشرع وأي منه لا يوافقه فهو لم يفرض زيا بعينه، ولم يفرض لونا بعينه، ولذلك وضع الفقهاء ضوابط عامة استنبطوها من سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم، نذكر منها ما يلي[٥٤]:

أولا: أن يغطي جميع الجسم عدا ما استثناه القرآن الكريم في قوله (إلا ما ظهر منها) وأرجح الأقوال في تفسير ذلك أنه الوجه والكفان.

ثانيا: ألا يشف الثوب ويصف ما تحته. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من أهل النار نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها. ومعنى "كاسيات عاريات" أن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر، فتصف ما تحتها لرقتها وشفافيتها. دخلت نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها وعليهن ثياب رقاق فقالت عائشة: "إن كنتن مؤمنات، فليس هذا بثياب المؤمنات". وأدخلت عليها عروس عليها خمار رقيق، شفاف فقالت: "لم تؤمن بسورة النور امرأة تلبس هذا" فكيف لو رأت عائشة ثياب هذا العصر التى كأنها مصنوعة من زجاج؟.

ثالثا: ألا يحدد أجزاء الجسم ويبرز مفاتنه، وإن لم يكن رقيقا شفافا. فإن الثياب التى ترمينا بها حضارة الغرب، قد تكون غير شفافة، ولكنها تحدد أجزاء الجسم، ومفاتنه، فيصبح كل جزء من أجزاء الجسم محددا بطريقة مثيرة للغرائز الدنيا، وهذا أيضا شيء محظور وممنوع، وهو-كما قلت- صنع مصممي الأزياء اليهود الذين يحركون الناس كالدمى من وراء هذه الأمور

كلها. فلابسات هذا النوع من الثياب "كاسيات عاريات".. يدخلن في الوعيد الذي جاء في هذا الحديث.. وهذه الثياب أشد إغراء وفتنة من الثياب الرقيقة الشفافة.

رابعا: الا يكون لباسا يختص به الرجال: فالمعروف أن للرجال ملابس خاصة وللنساء ملابس خاصة أيضا.. فإذا كان الرجل معتادا أن يلبس لباسا معينا، بحيث يعرف أن هذا اللباس هو لباس رجل.. فليس للمرأة أن ترتدي مثل هذا اللباس، لأنه يحرم عليها... حيث لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال.. فلا يجوز للمرأة أن تتشبه بالرجل ولا للرجل أن يتشبه بالمرأة، لأن هذا عدوان على الفطرة.. فالله عز وجل خلق الذكر والأنثى، والرجل والمرأة، وميز كلا منهما بتركيب عضوي غير تركيب الآخر، وجعل لكل منهما وظيفة في الحياة، وليس هذا التميز عبثا، ولكن لحكمة، فلا يجوز أن نخالف هذه الحكمة ونعدو على الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ونحاول أن نجعل من أحد الصنفين ما لم يخلق له وما لم يعد له بطبيعته وفطرته... فالرجل حين يتشبه بالمرأة لن يكون امرأة، ولكنه لن يصبح رجلا كذلك.. فهو يفقد الرجولة، ولن يصل إلى الأنوثة، والمرأة التى تتشبه للرجل، لن تكون رجلا ولن تصبح امرأة كما ينبغي أن تكون النساء.

فالأولى أن يقف كل من الجنسين عند حده، وعند وظيفته التى فطره الله عليها.

هذا هو الواجب، ما عدا هذه الأمور، يكون هذا الزي زيا غير شرعي وغير معترف به... ولو أن الناس عقلوا وانصفوا والتزموا الحدود الشرعية لأراحوا واستراحوا ولكن النساء-مع الأسف- فتن بهذا البدع الذي يسمى "الموضة" وفتن الرجال أو ضعفوا أو أصبحوا لا رأي لهم، وبعد أن كان الرجال قوامين على النساء أصبح الحال وكأن النساء هن القوامات على الرجال، وذلك شر

وفتنة من فتن العصر، أن لا يستطيع الرجل أن يقول لزوجته، قفي عند حدك، بل لا يستطيع أن يقول ذلك لابنته، لا يستطيع أن يلزم ابنته الأدب والحشمة، ولا أن يقول لها شيئا من ذلك، ضعف الرجال، لضعف الدين، وضعف اليقين، وضعف الإيمان.

والواجب أن يسترجل الرجل، أن يعود إلى رجولته، فإن لم يكن إيمان، فرجولته يا قوم، لا بد من هذا، ولا بد أن نقاوم هذا الزحف، وهذا التيار.

بعد هذا العرض الذي قدمناه في الصفحات السابقة لم يعد خافيا أن الحجاب فرض علي كل مسلمة حتى وإن كانت في بيتها ما دام يوجد فيه من ليس بمحرم لها٥٥، وأن التزامها به هو من تمام إيمانها، وأنها ليست مخيرة بين تركه وارتدائه، ولا يحق لها أن تنتظر بدون حجاب تحت زعم أنها لم تقتنع به، فليس للمسلم والمسلمة إذا أراد الله أمرا إلا أن يذعن له ويقول سمعنا وأطعنا: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً).٥٦.. (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).٥٧

ولا يصح لها أن تنتظر حتى تتزوج ثم تتحجب، فالرزاق هو الله، والذي يهب لها زوجا هو الله وليس شعرها أو جمالها.

ولا يعقل أن تتعلل مسلمة تؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا قائلة:إن الحجاب لم يعد يناسب العصر الذي نحياه وأنه يعطلها عن اللحاق بركب التمدن والحضارة، فما علاقة ذلك بأن تكون محتشمة ساترة رأسها وكم من الفضليات، طبيبة، ومهندسة، وأستاذة جامعية، وعميدة كلية، وإعلامية وهي بحجابها لا يمنعها قط عن عملها، ولم يتهمها أحد بالتخلف والرجعية، فما شأن حجابها بما في عقلها وقلبها من العلم والمعرفة.

كما نود أن نقول لأخواتنا من الوسط الراقي- كما يسمونه-: لا علاقة بين

الوضع الاجتماعي أو المادي للأسرة وبين تطبيق شرع الله في الحجاب، صحيح ستجدين نفسك حائرة بين ملابسك الضيقة الواصفة كيف ترتدين عليها حجابا ؟ لكن المشكلة ليست في الحجاب وإنما في الملابس التى لا ترضي الله ورسوله، وإن كانت تجعلك مجرد جسد جميل يتحرك علي الأرض ويفتتن به كل من رآه.. وبالتالي عليك أولا بحجاب العقل والدين الذي يدفعك نحو الله لتنعمي بلذة القرب منه، ولتستضيئي بنوره الذي يملأ قلبك طمأنينة وسعادة.

إعلان الثورة ضد.. حجاب المذيعات

قضية تظهر علي الساحة كلما فكرت إحدى المذيعات في الحجاب والتزام شرع الله، وهي "حجاب المذيعة" وكأن من تعمل مذيعة مكتوب عليها أن تعيش طيلة عمرها عاصية لربها، كاشفة لمفاتنها، إذ كيف تتحجب وتقرأ نشرة الأخبار؟.. لا يصح!.. وكيف تتحجب وتقدم برنامجا المرأة؟ خطأ كبير!.. ثم كيف تجرأ علي أن تطيع ربها وتعصي أوامر القائمين علي التليفزيون؟ لقد جاءت شيئا نكرا!!

عجبا.. مع أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام وأننا نعيش في بلد إسلامية معظم النساء فيه محجبات إلا أن المذيعة فقط لا يحق لها أن تتحجب، فهي قبلت العمل بناء علي شرط عدم الحجاب والمؤمنون عند شروطهم!! ثم إنها لما أجازتها لجنة الاختبار كانت سافرة وعلي هذا الأساس تم اختيارها فإذا تحجبت تكون قد أخلت بشرط العقد وشروط الاختيار!!

لا ندري ما العلة الحقيقية لمنع المذيعة من ارتداء الحجاب حيث لا يوجد قانون يمنع من هذا أو قرار,٥٨ ولا ندري أيضا لماذا كل هذا الرعب الذي يخيم علي مبني التليفزيون عندما تعلن مذيعة حجابها؟ هل هو التخوف من شريعة الإسلام؟ أم التخوف من أن يكون ذلك بداية لنمو تيارات دينية متشددة وسط المذيعات؟ أم التخوف من أن تعلن المذيعة مثلا رفضها إجراء مقابلة مع

الراقصة الفلانية أو ممثلة الإغراء العلانية؟

غاية ما أعتقد هو أن القائمين علي هذا الأمر يتخوفون من سريان شرع الله، وبالتالي سوف تنقلب خريطة التليفزيون رأسا علي عقب وستذهب الخلاعة والميوعة سواء في الدراما أو الإعلانات إلي غير رجعة مما يسبب خسائر فادحة للتليفزيون!

إن تعمد عدم ظهور المحجبات في التليفزيون أضاع فرصا كثيرة علي خريجات جامعة الأزهر ممن يملكن القدرة علي العمل كمذيعات لا لشيء سوي لأنهن محجبات، وحتي لو تقدمن للاختبارات تستبعدهن اللجان المختصة بأي حجة والسلام.

أدي عدم وجود مذيعات محجبات في التليفزيون إلي مقاطعة العديد من العلماء للبرامج الدينية التى تقدمها مذيعات سافرات يظهرن من أجسادهن أكثر مما يخفين، ولقد أسر ّإلي معد برنامج ديني فكري كبير يذاع علي الفضائية المصرية يوم الجمعة بأن الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية- أكرمه الله- يرفض الظهور في البرنامج لأن مذيعته غير محجبة.

نحن لا نطالب بأكثر من إعطاء الحرية لمن أرادت أن ترتدي الحجاب أن تفعل ما تشاء دونما اضطهاد، ولقد عجبت لثورة الصحافة المصرية عندما أصدرت دولة علمانية هي فرنسا قانون حظر ما أسمته بالرموز الدينية في المدارس ومنها الحجاب وراح الإعلام يطلب من الأزهر التدخل ويطلب من شيخه أن يكون أكثر جرأة - مع أن فضيلته لم يقصر وقال رأي الدين في وضوح وصراحة- في التعامل مع القضية، إذ كيف يمنع بنات المسلمين من الحجاب مع أنه فرض.. إذا كان الأمر كذلك فلماذا يمنع بنات المسلمين من ارتداء الحجاب في بلد إسلامي وليس علمانيا.

نحن -إذن- اقل جرأة وشجاعة من أن نعترف أن الوضع الذي كان سائدا كان خطأ ويجب تصحيحه!!

هل يعلم المسئولون عن هذا الأمر أن بلدا غير إسلامي يسمح للمحجبات بالظهور علي شاشاته.. ألا يعترينا الخجل ونحن نشهد تلك الظواهر مع الحجاب في بلادنا، بينما نجد دولة مثل السويد تسمح للمذيعة المسلمة نادية جبريل حاملة الجنسية السويدية بالظهور على شاشة التليفزيون بالحجاب ؟! وجاء في نص القرار الصادر عن التلفزيون السويدي: "إن السويد دولة تحترم الثقافات والديانات والحرية الدينية مكفولة للجميع"!.. فهل نثوب إلي رشدنا ولا نعطل أمرا أحبه الله وارتضاه لنا؟!

الأمر ذاته وإن كان يختلف نوعا ما عندما تعلن ممثلة أنها ارتدت الحجاب، يظل المرجفون في المدينة، ومن في قلوبهم مرض، يضربون أسداسا في أخماس ويعلنون عن دوافعها في الحجاب، فربما أنها تريد دعاية أكثر، وهذا يحدث بالفعل أحيانا، وإما أن أحد الأثرياء تكفل بنفقاتها وطالبها بالحجاب، أو أنها سمعت إلي أحد الدعاة والمشايخ فأقنعها،و..و... تتعدد التكهنات في الوقت الذي لا يقول فيهم أحد الحق الذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وهو أن الله هداها لما يحب ويرضي وأنه وضعها علي طريق التوبة الصادقة.

أقول: ليس المفترض أن تتحجب فنانة أو مذيعة أو سيدة مجتمع أو بنت من الوسط الراقي ولكن المفترض أن تتحجب كل بنات ونساء المسلمين دون استثناء لأحد مهما كان وضعه أو مركزه، فشرع الله لم يفرق بين مؤمنة وأخري لأن هذه فقيرَة وتلك غنية أو ذات منصب.

حملة مسعورة للقضاء علي الحجاب

بمجرد إعلان واحدة من الممثلات الشابات أنها ارتدت الحجاب خرجت مجلة أسبوعية تصدر عن مؤسسة قومية هي "روزاليوسف" ذات التوجه الذي لا يخفي علي كل مسلم بحملة مسعورة بدأتها بمقال لرئيس تحريرها "عبد الله كمال" الذي يعتبر نفسه وحيد عصره وأوانه وفلتة الزمان، الذي لن تجود بمثله الأيام عنوانه التمهيدي: "التوظيف السياسي للحجاب" أما عنوانه الرئيسي

فهو: هل كل محجبات مصر عضوات في جماعة الإخوان؟!" ,٥٩. وبعد مقدمة تنم عن سعة أفق الكاتب وثقافته العريضة تساءل: قائلا: والسؤال هو: هل الحجاب في مصر.. ظاهرة سياسية.. أم أنه ظاهرة اجتماعية دينية؟

ثم تساءل مرة أخري: والسؤال أيضا: هل يمكن اعتبار أن نساء مصر المحجبات عضوات في تنظيم الإخوان المحظور قانونا.. أو علي الأقل من أنصاره؟

وقبل أن أخوض في الرد علي المقال الذي أعلم تمام العلم أنه لن يهز واحدة من المحجبات أو يدفعها لأن تلقي بحجابها وتخرج سافرة، أود التأكيد علي أن الحجاب ليس ظاهرة وإنما هو شرع الله الذي ارتضاه لعباده وليس من حق "عبد الله كمال" أو أي شخص أن يغير المسمي الذي أراده الله ويصف الفرض بأنه ظاهرة وإلا جاز تبعا لنظرية "الأخ عبد الله" أن نقول ذلك عن الصلاة أو الصيام أو الحج.. وعلي الرغم من انه اعترف بأن المعلومات الدينية لديه غير كافية لمناقشة الموضوع حينما قال:" من جانبي.. لا أريد ولا أرغب أن أخوض جدلا حول شرعية الحجاب.. وهل هو حلال أم حرام ؟.. هل هو فريضة أم أنه غير ذلك؟..ليس فقط لأنني غير مؤهل حتي الآن لذلك من الناحية الدينية.."

وكما أن الأخ عبد الله لا يرغب ولا يريد فأنا كذلك لا أرغب ولا أريد أن أوضح للقارئ مدي ضحالة الثقافة الدينية عند صاحبنا فكلامه خير شاهد!

ومع اختلافي الشديد مع كل من يتحزب أو يكون فرقة أو جماعة إسلامية ويعتبر نفسه متحدثا باسم الإسلام٦٠ فإنني أختلف تماما مع تلك الجماعة المحظورة التي تسمي نفسها "الإخوان المسلمون"، ومرارا سألت نفسي: إذا كان هؤلاء الإخوان المسلمين فمن نحن إن لم نكن أعضاء في جماعتهم؟ بالطبع نحن "الإخوان الكافرون" أو "الإخوان المشركون" أعاذنا الله من الشرك ومن الكفر!!

وأقول للأستاذ عبد الله كمال: إن الحجاب ليس حكرا علي الإخوان وليس رمزا علي نمو الجماعات المتطرفة فمنذ مائة عام لم تكن هذه الجماعات موجودة وكانت نساء مصر محجبات.. فلا داعي لأن تقحم الحجاب في حربك علي الإخوان.

شيء أخر في مقال عبد الله كمال يدعو للدهشة والعجب والإشفاق علي الرجل في ذات الوقت، لقد قال: "إن الحجاب له مدلول طائفي.. بمعني أنه صار يميز ما بين المصرية والمصرية.. المحجبة المسلمة.. وغير المحجبة التي صار يفترض فيها بداية أنها قبطية إلي أن يثبت العكس.. لقد أصبح هذا التمييز خطرا لأنه يضيع علي المصريات والمصريين أهم ما كانوا يتمتعون به.. وهو أنه لا يمكن أن تفرق بين مسلم ومسيحي أو مسلمة ومسيحية"

يا أستاذ عبد الله: يعيش المسلمون والمسيحيون علي أرض مصر منذ الفتح الإسلامي وحتي الآن والكل يعلم والتاريخ يشهد أن المسلمات لم يخلعن حجابهن طوال هذه السنوات إلا بفعل الاستعمار والغزو الفكري والثقافي والتقليد الأعمى للغرب مع بدايات القرن العشرين.. ولم يشكو المسيحيون من حجاب المسلمات ، ولم يقل أحد من قبلك بأنه من أبواب الفتنة الطائفية التي تشق نسيج مصر.

ومنْ قال لك إن المحجبة مسلمة والسافرة يفترض أنها مسيحية؟! هناك مسلمات لا يلبسن الحجاب -نسأل الله لهن الهداية-.. وهناك مسيحيات أيضا يرتدين الحجاب وإن كنت تريد دليلا ففي قري مصر وصعيدها مئات المسيحيات المحجبات ولم يقل أحد إنهن مسلمات.

ولذلك فلا داعي أبدا لهذه المزايدات فليس من حقك لكي تجعل من كلامك موضوعا مهما أن تقحم ما ليس فيه وتطعمه ببعض القضايا الشائكة التي لا تعود بالنفع علي الوطن الذي لا أشك أنك تحبه!.

وفي العدد التالي مباشرة٦١ كانت المجلة كلها تقريبا تتحدث عن الحجاب

باعتباره القضية الأهم التي تشغل الرأي العام كله في مصر من اقصاها إلي أقصاها وكان العنوان الرئيسي للمجلة هو: "حرب الحجاب في مصر" ومن خلال قراءة المجلة تتضح عدة أمور:

أولا: تعمد القائمون علي المجلة أن ينشروا صورة فتاة محجبة تجلس علي ضفاف النيل ويجلس إلي جوارها شاب يلف ذراعه حولها فيما يشبه الاحتضان، وعدد آخر من الصور داخل المجلة لشباب يقفون مع بنات محجبات في أوضاع مشبوهة، وهذا طبعا يشي بالغرض الخبيث الذي من أجله تم وضع الصورة علي الغلاف، فقد أراد "عبد الله كمال" ومعاونوه أن يقولوا إن الحجاب لا يمكن أن يصنع عفة او يكون دليلا عليها وبالتالي فوجوده وعدمه سواء.

صحيح أن الاعتماد علي الحجاب وحده دون وازع من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الشارع الحكيم لا يكفي، كما أن الأخلاق وحدها بدون حجاب أيضا لا تكفي، فالشريعة الإسلامية متكاملة في مضمونها وتكمل تعاليمها بعضها البعض فمن غير المعقول أن يطبق المؤمن فريضة من الفرائض ويمتنع أو يتكاسل أو يتجاهل فريضة أخري، فالدين جملة لا يتجزأ، لكن الصورة تحمل من المعاني أكثر من الغرض الذي نشرت من أجله، فالمجتمع يعاني حالة من الانفلات الأخلاقي، فمعظم الأهل يتساهلون مع خطيب ابنتهم ويسمحون لهما بالخروج إلي الحدائق والمتنزهات بدون مرافق مع أن هذا مخالف لشرع الله وتترتب عليه مفاسد عظيمة، كما أن شبابا كثيرين يخرجون مع فتيات لا تربطهم بهن علاقة سوي وعود الحب الزائفة، أضف إلي ذلك غياب الوازع الديني وقلة الثقافة الدينية، وعدم معرفة كثير من الشباب بالحلال والحرام، وكساد سوق الزواج بسبب تدني الحالة الاقتصادية، والبطالة التي يعاني منها السواد الأعظم من الشباب، وارتفاع تكاليف الزواج، أضف إلي ذلك طوفان العري والإباحية الذي تبثه القنوات الأرضية والفضائية، والغزو المنظم لكل

القيم والعادات الطيبة التي كانت أهم ما يميز المجتمع المسلم.
القضية لا يمكن مناقشتها بعيدا عن العوامل المؤدية إليها وإلا كان ذلك مخالفا لقواعد البحث العلمي السليم.. فهل علمتم أن الصورة تخفي أكثر؟!

ثانيا: تجاهلت المجلة بشكل لافت للنظر كل أساتذة وأستاذات جامعة الأزهر خلال طرح الموضوع لسبب واحد هو أن أساتذة الأزهر المحترمين سيقولون كلاما لا يخدم وجهة نظر الأخ "عبد الله" ولن يحقق السياسة التي رسمها للملف.

ثالثا: وفيما يخص الآراء الواردة في هذا الملف فهي مع كثرتها غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فكتابها أصحاب توجهات لا تخفي علي أحد، ولا يخشى منها علي دين الله الذي تكفل بحفظه وصدق من قال: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)، ٦٢

الحجاب الذي يدخلك النار

وتبقي كلمة قبل أن نطوي صفحات الحجاب إلي موضوع أخر وهي موجهة للمحجبات بالفعل: فبعضهن كما يقولون "عين في الجنة وعين في النار" تراها ترتدي حجابا ما أنزل الله به من سلطان يغطي نصف رأسها بينما خصلات شعرها بادية علي وجهها، وأخريات يرتدين الحجاب وتبدو فتحة الصدر والعنق بشكل يلفت الأنظار ويدعو ضعاف النفوس إلي الغريزة والشهوة، كما أن هناك أخريات يرتدين حجابا، أما ملابسهن ففي غاية الضيق وكأن أحدا قد حشرهن فيها رغما عنهن، تبدو وكأنها شيء لا معني له..فقط يثير الغرائز، ويحفز الناظرين لإمعان النظر.
أيتها المسلمات ليكن لكنّ وقفة مع أنفسكن، فالمسلمة ليست كأي واحدة، بل جعل الله لها خصوصية تحفظها وتصونها، وليس من الإسلام أن أتابع وأرتدي كل ما تفرزه الموضة، صحيح أن الإسلام لم يفرض زيا معينا لكن

فرض شروطا يجب أن تتوافر في أي زي، فما يناسب غير المسلمة قد لا يناسبك لأن دينك لا يرضاه لك، فراجعي نفسك واعلمي أن الله لا يحب له شريكا فهو غني عن الشركة، فإن كنت تودين رضاء الله وفي نفس الوقت تودين حيازة إعجاب الناظرين، فهنيئا لك بإعجابهم ،أما رضا الله فلا.. وإن كنت تبغين رضاء الله فقط فلتكوني كما شاء الله لك.. وهنيئا لك برضاه في الدنيا، ونعيمه في الآخرة..

حينما قال وزير الثقافة للحجاب: لا

فجأة ودون مقدمات وجد الجميع أنفسهم أمام قضية أثارت جدلا واسعا في كافة الأوساط الشعبية منها والرسمية، فقد نشرت صحيفة "المصري اليوم" تصريحا غريبا للسيد فاروق حسني وزير الثقافة اتهم فيه المحجبات باتهامات تصفهن بالتخلف والعودة إلي الوراء وحملهن مسئولية كل ما يحيق بالوطن من تراجع في الوقت الراهن..

وقال الوزير في تقرير تحت عنوان: حسني: الحجاب عودة للوراء.. وأصبحنا نستمع إلي فتاوي بـ"تلاته مليم" ما نصه: النساء بشعرهن الجميل كالورود، التي لا يجب تغطيتها وحجبها عن الناس.

وأضاف: والدين الآن أصبح مرتبطا بالمظاهر فقط رغم أن العلاقة الإيمانية بين العبد وربه لا ترتبط بالملابس.

وأعرب وزير الثقافة عن اعتقاده بان حجاب المرأة يكمن في داخلها وليس خارجها.

وقال: لا بد أن تعود مصر جميلة كما كانت وتتوقف عن تقليد العرب الذين كانوا يعتبرون مصر في وقت من الأوقات قطعة من أوروبا ..

واستطرد: نحن عاصرنا أمهاتنا وتربينا وتعلمنا علي أيديهن عندما كن يذهبن للجامعات والعمل دون حجاب فلماذا نعود الآن إلي الوراء.

وقال وزير الثقافة: اعتقد أن الأمر ليست له علاقة بالتقوى والورع، وإلا فما تفسير مشاهدة مناظر الشباب والبنات علي الكورنيش وكلهن محجبات.

وأكد أن وزارة الثقافة ومن يمثلها لابد أن تكون حائط الصد الرئيسي أمام هذه الأفكار، بهدف الدعوة للانفتاح والعمل المحترم.

وقال الوزير: إن الجرائم اليوم ترتكب باسم النقاب والحجاب. وأضاف: العالم يسير للأمام، ونحن لن نتقدم طالما بقينا نفكر في الخلف، ونذهب لنستمع إلي فتاوى شيوخ بـ«تلاته مليم».

واستطرد: نحن فقدنا حتي الصوت الرخيم الذي كان يؤذن للصلاة في المساجد، وأصبحنا نسمع اليوم أصواتاً تعد من أنكر الأصوات..وأشار حسني إلي أنه خلال زيارته الأخيرة لقطر والبحرين، وجد أن الدول العربية تتقدم في مستوي النظام والنظافة والطرق، حتي إن النساء بدأن يخلعن غطاء الوجه.. بينما نحن نعود للوراء ونرتديه، مؤكداً أن العالم كله يتقدم، حتي إن دولة مثل سنغافورة، التي التقي وزير ثقافتها ، أصبحت تنافس الصين والهند، رغم أن عمرها ???سنة، بينما نحن مازلنا في مكاننا، رغم أننا نمتلك حضارة ?آلاف سنة

بعد النشر مباشرة تضاربت الروايات، الوزير قال: إن الحديث كان مجرد دردشة وأنه تم إخراج الحديث من سياقه، وأنه لم يسع إلي نشره، غير أن الوزير أطل علينا من شاشات الفضائيات ليؤكد أنه لن يعتذر وأن ما نشر علي لسانه هو رأي شخصي يؤمن به منذ وقت طويل، وأنه لا علاقة لمسئوليته الوزارية بهذا الموقف.

ويسرعة البرق أصبح تصريح الوزير مثار حديث وجدل واسع النطاق خرج عن حدود الوطن المصري ليصبح مثار اهتمام للعديد من وسائل الإعلام العربية والأجنبية التي راحت بدورها تحلل، وتناقش وتتوقع، وتتساءل..

ومنذ اللحظات الأولي لصدور هذا التصريح تقدم عدد من نواب جماعة "الإخوان المسلمين" المحظور نشاطها ببيانات عاجلة إلي مجلس الشعب، ولحقهم في ذلك كثيرون من نواب الحزب الوطني.. وكلٌ يطالب بإقالة الوزير

بعد أن رفض الاعتذار وصمم علي الرأي الذي اعتبر مناقضا لأحكام الشريعة، ويمثل اعتداء علي الدستور، بل وعلي الحرية الشخصية..

كانت الأجواء حتي هذا الوقت تقول: إن جلسات البرلمان التي بدأت أعمالها بخطاب السيد الرئيس مبارك سوف تشهد جدلا واسعا قد يمتد إلي الصدام بين الرافضين والمؤيدين.

وقد أكد الكثير من المراقبين في هذا الوقت أن المعارضين يتقدمون ببياناتهم العاجلة وخلفهم جمهور واسع رافضا لتصريحات الوزير، ومطالبا بمحاسبته، وكشف حقيقة موقفه أمام الشارع المصري والعربي والإسلامي.

كانت تلك هي الصورة الأولية قبيل أن يشهد البرلمان هذا الجدل الواسع الذي أحدث أثاره في الشارع المصري وكانت له تداعياته المثيرة خلال هذه الفترة.

وقد ترددت روايات عدة قبيل خطاب الرئيس في افتتاح الدورة البرلمانية يوم الأحد الماضي، فهناك من قال: إن تعليمات عليا قد صدرت أوصت بعدم حضور وزير الثقافة خوفا من حدوث مواجهة مع النواب الغاضبين من تصريحاته، والذين ينتظرون حضوره إلي المجلس بفارغ الصبر، وهناك من قال علي الجانب الآخر: إن الوزير هو الذي اتخذ القرار وقرر الانتظار لما بعد خطاب الرئيس ، وهو ما أكده الوزير في تصريحات صحفية لاحقة.

وقبيل افتتاح الدورة البرلمانية كانت لجنة الشئون الدينية برئاسة د. أحمد عمر هاشم قد عقدت اجتماعا أدانت فيه تصريحات الوزير .

وتقدم عدد كبير من نواب الإخوان والمستقلين ببيانات عاجلة إلي المجلس يطالبون فيها بإقالة السيد فاروق حسني وزير الثقافة، وهنا وجد الدكتور فتحي سرور نفسه أمام خيار واحد ووحيد، لابد أن يفسح المجال، ولا يستطيع أن يتجاهل هذه الثورة المكتومة في نفوس العديد من الأعضاء، خاصة أن القضية أضحت قضية رأي عام.

وكانت المفاجأة.. تحدث د. عبد الأحد جمال الدين ممثل الأغلبية بالبرلمان في

البداية، وعندما قال: "إن الحجاب قضية خلافية بين علماء الدين" ثار عليه الأعضاء من كافة الاتجاهات ، خاصة من داخل الحزب الوطني ذاته، وهو ما دعا د. سرور إلي إنهاء كلمته.

وعندما تحدث الدكتور زكريا عزمي حديث العقل منتقدا تصريحات الوزير ومبرئا الحكومة منها فقال: "إن زوجات عدد كبير من المسئولين محجبات، وأن الحجاب ليس دليل تخلف كما قال وزير الثقافة، وأن نصف اللاتي تطوعن في حملة الرئيس مبارك الانتخابية كن من المحجبات، مستشهدا علي أن ذلك دليل علي أن الدولة ليست ضد الحجاب، ساعتها وجد الكثير من أعضاء الهيئة البرلمانية للحزب الفرصة سانحة لإطلاق رصاصة الرحمة علي الوزير٦٣.

ويبدو أن كمال الشاذلي قرر أن يرد بدوره علي محاولات د. عبد الأحد جمال الدين الدفاع عن وزير الثقافة، والتقي في خط واحد مع أطروحات الرافضين سواء كانوا معارضة أو "حزب وطني" فأشعل القاعة عندما قال: إن زوجتي وابنتي محجبتان، وأن البنت أو السيدة التي تحترم دينها تتجه هذا الاتجاه، وراح يوجه انتقاداته اللاذعة إلي وزير الثقافة طالبا إحالة الموضوع إلي اللجنة المختصة.

أما الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس لجنة الشئون الدينية بالمجلس، أستاذ علوم الحديث بجامعة الأزهر، فقد حذر الحكومة والمجلس علي السواء من التهاون أمام تصريحات الوزير، لأن التهاون سيفرز تطرفا وإرهابا من نوع جديد، وراح يطالب بمحاسبة كل من يتجرأ علي دين الله.

وأمام هذه المواقف شهدت القاعة مباراة ساخنة بين أعضاء الحزب الحاكم وبين المعارضة، وكان الهدف المشترك هو التصريحات المرفوضة التي أدلي بها فاروق حسني، والتي وحدت المتناقضات ربما للمرة الأولي منذ بدء مجلس الشعب لأعماله في بداية العام الحالي.

وجاء كلام د. مفيد شهاب يحاول أن يمضي علي طريق يعرف أنه مليء

بالأشـواك، فـهو لا يريد أن يشـارك في المحـاكمة التي تجري للوزير، لكنه في نفس الوقت لا يريد أن يصطدم بالرأي العام داخل البرلمان خاصة مع أعضـاء حـزبه، فـراح يؤكـد رفـضـه لأي مـسـاس بالدين وفي نفس الوقت يرفض أي مساس بالوزير.

ساعتـها انفـعل د. فـتحي سـرور رئيس المجلس مؤكدا أنه لم يُذكر لفظا واحدا داخل القـاعـة يمس الوزير، ووجـه اللوم إلي وزير الثـقـافـة بقـوله: "إن المسئول عندما يتحمل عبء العمل يصبح مقيدا ولا فصل بين الرأي الشخصي ورأيه كـمـسـئـول وطالب رئيس المجلس كل من لا يلتـزم بذلك أن يتـحلل من منصبه".

في هذا الوقت كـان الرأي السـائد داخل البرلمان أن قرارا سـيصدر بإقالة الوزير، ولذلك راح أكثر من ١٣٠ نائبا يوقعون طلبا مسبقا يطالبون فيه بسحب الثقة، وكأنهم يستبقون الاستجوابات المقدمة في هذا الشأن، والتي من خلالها يطرح مبدأ سحب الثقة من الوزير بينما قدم ٩٣ نائبا طلبا إلي رئيس المجلس يطالبون فيها بمحاكمة وزير الثقافة.

كـان الكثـيرون يظنون أن الانقـلاب الحـادث من نواب الأغلبيـة ضـد وزير الثقافة جاء بمبادرات فردية، غير أن نقاشا جري بيني وبين أحد أعضاء هيئة مكتب واحدة من اللجـان الهـامـة كنت أثني فـيه علي مـوقف أعضـاء الحـزب الحـاكم الذين انتقدوا تصـريحـات الوزير، فرد عليَّ فورا بالقول: "هذا موقف مؤسسي، لقد كان قرارا اتخذناه داخل الحزب"٦٤,
نعم .. وتلك هي الحقيقة، كان القرار "بإمكانكم أن توجهوا اللوم للوزير ولكن بالراحة".

والسؤال: هل كانت ثورة نواب الحزب الوطني لوجه الله؟!
لندع مـصطفي بكري احـد نـواب المجلس ورئيس تحـرير جـريدة الأسـبـوع المصرية يجيب بنفسه .. يقول:

ورغم أنني شخصيا سعيد بموقف أعضاء الحزب الحاكم في مواجهة تصريحات السيد وزير الثقافة، ورغم أنني أدرك عن يقين أن غالبية من تحدثوا تحت قبة البرلمان من أعضاء الوطني كانوا صادقين في موقفهم، غير أنني أستطيع القول أن التكتيك الذي اعتمدت عليه قيادة الحزب الوطني قد جاء مستندا إلي منطق 'سحب السجادة من تحت أقدام الإخوان'!!

كان الكل يدرك أن قضية الحجاب قضية إجماع في الشارع المصري، والاقتراب منها يمس الشرع ويمس أيضا الحرية الشخصية للمحجبات، ولذلك راح قادة الحزب الحاكم يطلقون العنان للأعضاء لاتخاذ الموقف الذي يرونه، ولكن في إطار ضوابط محددة.

غير أن كل من تحدثوا من كوادر الحزب داخل البرلمان وجدوا أنفسهم أمام لحظة صدق مع النفس، فعبروا عما يجيش في الصدور، وربما لم يكن يعني الكثيرين منهم قضية سحب السجادة من تحت أقدام الإخوان أو غيرهم، فالحماس الذي تحدث به الكثيرون منهم أكد رفضهم الجاد لتصريحات وزير الثقافة.

وأذاع التليفزيون المصري ملخصا وافيا لمناقشات البرلمان ونشرت الصحف وقائع ما جري تحت القبة، وعندما اتصل أحد الزملاء الصحفيين بوزير الثقافة في هذا الوقت رد الوزير عليه علي الفور بالقول 'أنا قاعد أتفرج علي عملية ذبحي داخل البرلمان'!!

وفي اليوم التالي كان الوزير قد أصدر قراره، إنه قرر الاعتكاف في منزله ولن يذهب إلي مكتبه، ولن يستجيب لطلب البرلمان بالمثول أمام لجنتي الشئون الدينية والثقافة والإعلام ما لم يرد له اعتباره!!

وعندما تم إثارة هذا الموقف صبيحة الأربعاء الماضي داخل البرلمان وتساءل البعض عن القوة التي يستند إليها فاروق حسني والتي تجعله يرفض المثول أمام البرلمان، جاء رد د.فتحي سرور ليطمئن الأعضاء بالقول: 'إن الوزير رجل

شجاع وفارس لا يهاب المواجهة ولابد أن يمثل أمام البرلمان للرد علي كل ما يثار حول تصريحاته".

كانت الأزمة قد بلغت مداها، الغضب العارم يعبر عن نفسه في مظاهرات عفوية تنطلق داخل الجامعات، والمناقشات تمتد إلي المساجد والمنتديات لتصل إلي البيوت، وتشكل رأيا عاما قويا يطالب بإقالة وزير الثقافة فورا.

وقبيل ظهر الأربعاء ٢٠٠٦/١١/٢٢ كان هناك عدد من الشخصيات الهامة في البرلمان تنسحب في هدوء بعد استدعاء عاجل من مسئول كبير، فانسحب د.فتحي سرور وترك إدارة الجلسة للدكتورة زينب رضوان وكيل المجلس، ثم د. مفيد شهاب ثم أحمد عز ثم كمال الشاذلي.

ومن الواضح أن اللقاء الذي لم يعلن عنه، قد شهد نقاشا مطولا حول الأزمة وتداعياتها، وقيل أن المسئول الكبير قد شهد تسجيلا حيا لجلسة البرلمان، طالب بعدها بعقد هذا اللقاء خاصة بعد أن أصر وزير الثقافة علي التصعيد وقرر الاعتكاف، وكأنه بذلك يلقي الكرة في ملعب الآخرين.

وخلال هذا اللقاء الهام تم الاتفاق علي وضع حد لما يجري، وتم وضع سيناريو محدد للخروج من الأزمة وعودة الأوضاع إلي نصابها، حيث جري الاتفاق علي القيام فورا بعدد من الخطوات أبرزها:

يطلب من وزير الثقافة وقف تصريحاته الاستفزازية التي أثارت الشارع.

ويجري قادة الحزب الحاكم اتصالات بعدد من النواب المتشددين داخل الحزب لإدارة حوار معهم يفضي إلي تهدئة الأحوال.

ويدعي وزير الثقافة لاجتماع مع الهيئة البرلمانية للحزب يشرح فيه موقفه ويوضح فيه وجهة نظره والملابسات التي رافقت تصريحاته.

بعد لقائه بالهيئة البرلمانية يحضر الوزير اجتماعات لجنتي الشئون الدينية والثقافة والإعلام في موعد غايته الثالث من ديسمبر ٢٠٠٦ وذلك تنفيذا لقرار المجلس بمناقشة البيانات العاجلة أمام الاجتماع المشترك للجنتين.

تلك هي الخطة التي جري الاتفاق عليها خلال لقاء المسئول الكبير بكبار المسئولين بالحزب وبالبرلمان، وهي خطة كما نري تهدف إلي تجاوز الأزمة بسرعة وإعادة اللحمة إلي موقف الحزب وكوادره في البرلمان.

بيان المثقفين

أما من يطلقون عليهم المثقفين فقد أقحموا فيما ليس لهم به علم وأصدروا بيانا للتضامن مع وزير الثقافة أكدوا فيه أن الحجاب لا تمثل جوهر الدين وأهدافه -مع أني أشهد الله أنهم لا يعرفون لا جوهر الدين ولا أهدافه- وجاء في البيان:

لقد دأبت قوى سياسية بذاتها التحدث باسم الدين باعتبارها وصية على الإسلام ومحتكرة استنباط الأحكام الشرعية، وفي محاولة لتحقيق أغراضها السياسية راحت تبحث عن معارك وهمية مستغلة حديثا خاصا للفنان فاروق حسني وزير الثقافة قامت بنشره إحدى الصحف لم يخرج عن كونه مجرد رأي شخصي في قضية لا تمثل جوهر الدين وأهدافه.

لكن هذه القوى استغلت القضية في محاولة لفرض سطوتها وممارسة إرهابها الفكري، متجاهلة رصيدا ضخما من التاريخ المصري، لم تكن قضية الحجاب هي جوهر القضايا وإنما كان الفكر والحوار هما لغة الخطاب تعبيرا عن روح الإسلام وفلسفته الرائعة، التي عنيت بجوهر الأشياء في سمو جعل الدين علاقة خاصة بين الإنسان وربه دون ادعاء.

إن الموقعين على هذا البيان باعتبارهم في طليعة القوى الاجتماعية والثقافية يشعرون بالقلق أمام تلك الهجمة التي تستهدف تحقيق أغراض سياسية مستغلة الدين، مما ينذر بشيوع مناخ من الإرهاب الفكري، يعوق حرية الرأي وينذر بمخاطر تهدد الوطن وتحول دون أن يتبوأ العقل مكانته اللائقة.

الله والوطن من وراء القصد والسبيل.

ويكفيك أن تقرأ أسماء الذين وقعوا علي البيان حتي تعرف من هم وما أهدافهم ومدي إلمامهم بجوهر الدين وأهدافه فهم إما مخرج في السينما أو فنان تشكيلي أو موسيقار أو كاتب قصص مسرحية، وحتي لا أكتم عنك أيها القاريء الكريم الحقيقة فإليك أسماؤهم كما هي:

السيد يس (كاتب وباحث ـ مدير مركز الدراسات الإستراتجية بالأهرام سابقا)

يوسف شاهين (مخرج سينمائي) توفيق صالح (مخرج سينمائي) قدري حفني (أستاذ جامعي) يونان لبيب رزق (أستاذ جامعي وعضو مجلس الشورى) سعد أردش (مخرج مسرحي وأستاذ بأكاديمية الفنون) محمد طه حسين (فنان تشكيلي وأستاذ جامعي) عدلي رزق الله (فنان تشكيلي) عمار الشريعي (موسيقار) سيد حجاب (شاعر) سمير فريد (ناقد سينمائي) لينين الرملي (كاتب مسرحي) عطيات الأبنودي (مخرجة سينمائية) أحمد نوار (فنان تشكيلي) خالد يوسف (مخرج سينمائي) عبد الهادي الوشاحي (فنان تشكيلي) بهيرة مختار (صحفية) عبد الرءوف الريدي (سفير سابق) وجيه وهبة (فنان تشكيلي) محسن بدوي (رجل أعمال) شهيرة محرز (أستاذة الفن الإسلامي) منير عامر (كاتب صحفي) سيف عبد الرحمن (ممثل سينمائي) جابر عصفور (ناقد وأستاذ جامعي) جهاد عودة (أستاذ جامعي) مهدي بندق (كاتب وباحث) أبو الحسن سلام (مسرحي وأستاذ جامعي) محمد بغدادي (كاتب صحفي) سهير فهمي (نائبة رئيس تحرير الأهرام إبدو) إبراهيم عبد المجيد (روائي) محمد حامد راضي (ناشر) إيمن العزباوي (مصمم ديكور) فاطمة المعدول (كاتبة مسرحية) غادة سهبندر (أستاذة لغة والمتحدثة الرسمية لحركة شايفنيكوا) عزة شلبي (كاتبة سيناريو) محمد الجوادي (أستاذ جامعي) عاصم حنفي (كاتب صحفي) بثينة كامل (إعلامية) قاسم عبده قاسم

(أستاذ جامعي) دينا الخولي (خبير تصحر) رءوف عباس حامد (أستاذ جامعي ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) محمد صابر عرب (أستاذ جامعي) نبيل حلمي (أستاذ جامعي) فريدة النقاش (كاتبة ورئيسة تحرير مجلة أدب ونقد) أحمد عبد الله (مونتير سينمائي) سلمى الطرزي (مخرجة تسجيلية) صلاح قنصوه (أستاذ جامعي)

سامح مهران (مخرج مسرحي وأستاذ جامعي) عبد القادر حميدة (شاعر) إنجي الحداد (استشاري تسويق وعضوة حركة شايفنكوا) أسماء يحيي الطاهر عبد الله (مسرحية ومعيدة بآداب حلوان) أحمد أبو النور (رجل أعمال) نادية حمادة (مرشدة سياحية)

إبراهيم البحراوي (أستاذ جامعي) مهيب سالم (مدرس) راجح داود (مؤلف موسيقي وأستاذ بأكاديمية الفنون) محمد عفيفي (أستاذ جامعي) ماهر فهمي (كاتب صحفي)

وفاء إبراهيم (أستاذ علم الجمال) صلاح عيسى (كاتب صحفي) أحمد زكريا الشلق (أستاذ جامعي ووكيل كلية الآداب بجامعة عين شمس) أحمد الشهاوي (شاعر وكاتب صحفي) ناجي محمد حميد (رجل أعمال) أحمد مرسي (أستاذ جامعي وعميد كلية الآداب بجامعة بني سويف) أحمد الراعي (طبيب وأستاذ بمعهد تيودور بلهارس)

شريف محيي الدين (قائد أوركسترا) نيفين علوبة (أستاذة بأكاديمية الفنون) جمال زكريا قاسم (أستاذ جامعي) خالد زغلول (كاتب وناشر) أحمد سعيد (كاتب) علي أبو شادي (ناقد سينمائي) سعيد توفيق (أستاذ جامعي) منى غنيم (موسيقية وأستاذة بأكاديمية الفنون) عبد الوهاب بكر(أستاذ جامعي) محمود يسري (كاتب) منال محيي الدين حسين (أستاذة بأكاديمية الفنون) حمدي حسن (عميد كلية الإعلام بجامعة ٦ اكتوبر)

أحمد مجاهد (ناقد ومدرس جامعي) أحمد الجمال (كاتب صحفي) يوسف

القعيد (كاتب وروائي) سحر صبحي عبد الحكيم (أستاذة جامعية) عماد بدر الدين أبو غازي (باحث في التاريخ والوثائق) وحيد عبد المجيد (نائب مدير مركز الدراسات والإستراتجية بالأهرام) أنور مغيث (أستاذ جامعي) محمد حاكم (باحث سوسيولوجي) مجدي عبد الحافظ (أستاذ جامعي) عطيات أبو السعود (أستاذة جامعية) كاميليا عتريس (صحفية)

فتحية العسال (كاتبة) حلمي النمنم (كاتب صحفي) هاني أبو الحسن سلام (مسرحي وأستاذ جامعي) عبير الجنزوري (مصرفية) عادل وسيلي (مهندس).

وصدق الله العظيم إذ يقول في أمثالهم : (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة من ٢٠:١٤).

وصدق الحق تباركت أسماؤه حيث يقول:(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)(الأنعام: من الآية١٢١).

رسالة إلي قبيلة المثقفين

ومن جانبه كتب الدكتور عبد المعطي بيومي أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر رد فيه علي بيان المثقفين ونشرته أيضا صحيفة المصري اليوم تحت عنوان:"رسالة إلي قبيلة المثقفين" قال فيها:

رغم أننا في مصر دولة منذ آلاف السنين لا تتحقق فيها مظاهر القبيلة، بل تنصهر فيها الأفكار والمشاعر وتتوزع الآراء توزيعاً أبعد ما يكون عن التوزيع

القبلي.

ومنذ "مينا" الذي صهر الوجهين القبلي والبحري في وحدة واحدة وشعب واحد فإننا نري اهتمام الناس بالقضايا العامة لا يقوم علي نظام التفكير بمنطق القبيلة.

ولا أدري لماذا يظهر هذا التفكير القبلي في هذه الفترة إزاء بعض القضايا، والغريب أن هذا البعض من القضايا بالذات من القضايا العامة التي تهم جميع مواطني الدولة بشكل مباشر وإذا وجد من لا يهتم بها فهو يهتم بها كثقافة عامة أيضاً.

وكنا نلمح بشكل ظاهر أن بعض ضيقي الأفق الذين يفكرون تفكيراً قبلياً ضيقاً إذا تولي أحدهم منصباً فإنه يختار دائماً من يميل لهم أو يري الضعاف الذين يستطيع السيطرة عليهم وتحريكهم أو يختارهم من أهل إقليمه، وللأسف كنا نري في الأزهر في فترات الضعف والخواء من يميل إلي الصعايدة علي البحاروة أو العكس، كما كنا نري رواق الشام ورواق المغاربة وهكذا ففي فترات الضعف الفكري يتحزب فيها الناس تحزبات غير بناءة خاصة إذا تحور الشعور القبلي إلي شعور حزبي ضيق لا يفكر في القضية العامة تفكيراً حيادياً مجرداً، بل تفكير قبلي حزبي ضيق، والذي يذكرنا بهذا ويشعرنا في الوقت نفسه بالقلق علي مصر الدولة والشعب والمستقبل ما صدر من بيانات بخصوص الأزمة التي أثارها الوزير فاروق حسني وزير الثقافة المصري ووصفه للحجاب بأنه رجعة إلي الوراء مع أن هذه الأزمة جعلت الموقف في مجلس الشعب المصري منصهراً بين التكتلات والتيارات السياسية المتعارضة، فقد انصهر موقف الحزب الوطني مع معارضيه من الإخوان المسلمين، ولم يشذ إلا عدد قليل، بينما يصدر بيان غريب من عدد من المثقفين تحت عنوان "بيان المثقفين" مع أنه لم يصدر عن كل المثقفين، وإنما عن عدد منهم في مؤازرة وزير الثقافة، وكأن المثقفين يعبرون عن قبيلة، وكأن شعارهم

بات ذلك القول القديم أيام عز القبائل "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً".
ومع أن الأسماء التي وقعت علي هذا البيان أعرف معظمها، وأحترم غاية الاحترام من أعرف منهم، وأنتمي إليهم انتماء حقيقياً لا يقل عن انتمائي للأزهر الذي تربيت فيه ودخلته منذ سنة ????ولم أخرج منه حتي الآن، إلا أنني أستأذنهم أن أختلف معهم في الرأي علي الأقل لكي لا نصبح قبيلة ويصبح الأزهر قبيلة والإخوان قبيلة والتيارات الأخري كل منها قبيلة أخري، فالتفكير القبلي لا يأتي بخير، ولسنا في موضوع الحجاب بصدد حروب داحس والغبراء ولا حرب البسوس بين بكر وتغلب.

كان الأمر أهون من ذلك أمام المثقفين، لقد أخطأ الوزير ما في ذلك من شك، أخطأ في حق تشريع إسلامي يدين به الملايين في العالم لا في مصر وحدها وهو يعرف حساسية هذا الموضوع والجدل الدائر حوله في العالم، وصف تشريعاً إسلامياً بأنه رجعة إلي الوراء، وجرح شعور كل امرأة متمسكة به، وكل رجل يؤمن به ويري فيها نصاً قرآنياً وحكماً فقهياً أجمع عليه كل المفسرين والفقهاء والمحدثين ولم يشذ منهم أحد عبر العصور وليس هناك رأي مخالف إلا لاثنين أو ثلاثة هواة، ليس لهم علي الإطلاق حق الحديث في هذا الموضوع لأنهم ليسوا مؤهلين للحديث فيه، كما أخطأ في حق علماء الدين، هؤلاء جميعاً الذين يفتون بوجوبه ووصفهم بألفاظ لا تليق بهم ولا به، ألفاظ متداولة في الشارع لا في قاعات العلماء ولا مكاتب الوزراء ولا أوساط المثقفين، فأن ينتصر بيان لمثقفين لوصف شيوخ بأنهم "بتلاتة مليم" وأن ينتصروا لتحقير العرب وغير ذلك من المعاني والألفاظ التي جاءت في كلام الوزير علي أن هذا كله رأي شخصي، فهذا بيان قبيلة علي طريقة "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" لا بيان مثقفين.
لقد أشفقت علي الوزير وهو يلقي بنفسه في أتون الغضب الشعبي ويستفز مشاعر الناس ويتردد بين الاعتذار والاستكبار، ويتعلل بتعللات في منتهي

السذاجة وقلة الخبرة والدراية بالسياسة والدين والملاءمة جميعاً ونصحته مخلصاً بأن يعتذر لأنه ليس أحسن من عمر بن الخطاب الذي اعتذر لامرأة فقال: «أصابت امرأة وأخطأ عمر» والشعب أكبر وأعلي من أن يستكبر عليه أحد والدين الذي أخطأ في حقه يهون أمامه الاستكبار والعزة بالإثم ذلك الاستكبار - والعنجهية- والذي أهلك المستكبرين عبر التاريخ.

وليت كلام الوزير كان حول الحجاب من حيث فرضيته أو وجوبه والنصوص التي استند عليها القائلون بالفرضية أو الوجوب لكان لنا أن نعتبره بحثاً علمياً أو رأياً شخصياً حول سند المشروعية، وقد تحدث بهذا المستشار العشماوي والسيدة إقبال بركة والسيد جمال البنا دون سند شرعي أو لغوي ومع ذلك كنا ومازلنا نناقشهم ويناقشوننا، لكن كلام الوزير كان شيئاً آخر لا يمت بصلة إلي الرأي الشخصي بل إلي السخرية والتحقير

ونحن نتساءل: هل يمكن أن يستقيم إبداء رأي شخصي بهذه الطريقة التي تستخدم فيها ألفاظ مثل "شيوخ بتلاتة مليم"، "النساء بشعرهن الجميل كالورود التي لا يجب تغطيتها وحجبها عن الناس"، "لابد أن تعود مصر جميلة كما كانت وتتوقف عن تقليد العرب"، كأن العرب شيء مهين، "إن وزارة الثقافة ومن يمثلها لابد أن تكون حائط الصد الرئيسي أمام هذه الأفكار".

هل هذا رأي شخصي ولم نسمع مثل هذه الألفاظ السوقية والأفكار السانجة الصادمة من الموقعين علي بيان المثقفين، وعلي فكرة اتصل بي أكثر من مرة مستشار محترم لرئيس دولة خليجية (لم أستأذنه في ذكر اسمه وإلا فله وزنه المحترم) يقول لي «إن الخليج يغلي» لهذه البادرة الصادمة من الوزير، هذه البادرة التي توحي للكثيرين في مصر وفي العالم الإسلامي بسؤال: ماذا يجري في مصر؟ وإلي أين تتوجه؟ خاصة أن بعض الدول الإسلامية أخذت بادرات صادمة نحو توجه غير مقبول في هذا الصدد مثل تركيا وتونس وبعض الإدارات الأجنبية خاصة في أمريكا تشجع هذا التوجه في مواجهة

الإسلام، الأمر الذي جعل كبار السياسيين عندنا يبادرون إلي نفي هذا التوجه في مصر، هل كانت كلمات الوزير -وزير الثقافة- بالونات اختبار؟ جعلت السياسيين المرموقين يسارعون إلي نفيها قبل أن تشوه وجه مصر وتسيء إلي هويتها العربية الإسلامية، الأمر الذي كان علي وزير الثقافة أن يتحسب له ويدرك عواقبه في هذا الجو العالمي المتربص بالإسلام ويعج بصراع الحضارات، والغريب أنه نفي تماماً في الرد علي وكان متحمساً أن لا يمثل الثقافة العربية الإسلامية بل الثقافة فقط، وهو وزير رسمي عضو في حكومة مصر العربية الإسلامية تحدث عن ضرورة أن تكون الوزارة حائط صد للحجاب.

ثم أي رأي شخصي إذا أبداه الوزير في وزارته برفضه الحجاب ما وقع ذلك علي المحجبات في الوزارة وعلي شعورهن نحوه وشعوره نحوهن، أليس ذلك نوع إرهاب؟ إن الإمام الشافعي منع الزوج المسلم الذي تزوج كتابية أن يأمرها بأن تسلم لأن ذلك يعد إكراهاً لها علي اعتناق الإسلام، لأن الإمام كان يقدر التأثير المعنوي المحتمل هنا، أليس هناك تأثير معنوي لأفكار الوزير وقناعاته فضلا عن تصريحه برفض الحجاب علي موظفات وزارته؟ وإن لم يبد فيه موقف عدائي ظاهر لهن، وفي ذلك سوء استخدام للسلطة وسوء استخدام للتعبير، ومن ثم بادر الدكتور فتحي سرور فأعلن رأي القانون في أثر استخدام الموظف العمومي لرأيه الشخصيَ، ونفي أن يكون له رأي شخصي غير رأيه الرسمي لما في رأي المسئول من تأثير وإيحاء علي سياسة الحكومة وعلي موظفي وموظفات موقع المسئول، بل علي أفراد الشعب بشكل عام.

وإذا لم يكن بحكم السياسة والقانون والملاءمة حق للمسئول في إبداء رأيه الشخصي، فهل ثمة مجال للرأي الشخصي للمسئول أو لغيره في الأمور الدينية المستقرة؟ أو في الشعائر الدينية؟ أو في المرجعية العليا لنظام المجتمع؟

إن غطاء الرأس محسوم في الإسلام من حيث وجوبه بقوله تعالي:

«وليضربن بخمرهن علي جيوبهن» (النور ??، فالخمار كما هو معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم هو غطاء الرأس وقد كان من عادة المجتمع العربي وقبل الإسلام أن تغطي المرأة رأسها وتترك فتحة الصدر مكشوفة، وعندما جاء القرآن الكريم راجع مراجعة شاملة كل العادات، فأقر بعضها كما هي، وأقر بعضها وزاد عليها، وأقر بعضها ونقص منها، وألغي بعضها كلياً، فمما ألغاها كلياً شرب الخمر، ومما أقر بعضها كلياً الأحلاف التي تدعو إلي السلم والتوحد كحلف الفضول الذي قال عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم: «لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت»، وكثير من مكارم الأخلاق، ومما أقر بعضها ونقص منها تعدد الزوجات حيث كان التعدد مباحاً بلا حد أقصي فأقره الإسلام ونقص من العدد ليكون حلاً لمشكلة وليس حقاً دائماً للرجل، فقد أسلم غيلان بن سلمة الثقفي وعنده عشر نسوة، كما أسلم عميرة الأسدي وعنده ثماني نسوة، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لكل منهما: اختر منهن أربعاً، ومما أقره القرآن وزاد عليه الخمار (غطاء الرأس)، فأمر سبحانه وتعالي بأن يشمل غطاء الرأس فتحة الصدر أيضاً بحيث تضرب المرأة غطاء رأسها علي فتحة صدرها فتغطيه بخمارها، والذين عرفوا قواعد المنهج في التشريع الإسلامي يعرفون أنه إذا أقر الله أو رسوله أمراً صار واجباً لأنه بإقراره دل علي وجوبه وكذلك سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أقره الرسول صلي الله عليه وسلم بقول أو فعل أو تقرير، فما بالنا إذا كان النص القرآني أقر بغطاء الرأس (الخمار) وأمر بلام التأكيد، بألا يكتفي بغطاء الرأس فقط بل ليشمل الخمار، ولا يسمي خماراً إلا إذا غطي الرأس، تغطية الجيد الذي هو فتحة العنق والصدر.

فالهواة الذين يهوون الخوض في الدراسات الإسلامية ولا يعلمون منهج التشريع الإسلامي في أن الإقرار –حتي بالصمت– يجعله أمراً تشريعياً فإذا سكت الرسول عن أمر حدث أمامه صار سكوته تشريعاً فما بالك بإقرار

القرآن للخمار بلام التأكيد بقوله: «وليضربن بخمرهن علي جيوبهن» لذلك أجمع الصحابة والتابعون وسائر الأئمة من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين علي وجوب الحجاب.

لكن تبقي كلمة أخيرة: إن من تلبس الخمار أو ما يشبهه من أي ملبس يغطي الرأس ويكشف الوجه والكفين هي ملتزمة بهذا الواجب الإسلامي وعليها بعد ذلك أن تسعي إلي الكمال بتقربها بالحسنات والسلوك القويم ليتكامل المظهر مع الجوهر، والتي لا تلبس الخمار ليست -لا سمح الله- كافرة، فهناك فرق بين أركان الإيمان والإسلام وواجباته، فالمفرط في ركن ليس كالمفرط في فرض أخر أو واجب أخر، ثم أن هناك ملحوظة مهمة يقررها أئمة العقيدة أنه «لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة»، والمقصود بهذه القاعدة أن المعاصي لا تخرج الإنسان من الإيمان لأن العمل ليس جزءاً أو ركناً من الإيمان وإنما العمل يزيد الإيمان أو ينقصه علي مذهب أهل السنة والجماعة وعلي التي لا تلبس الخمار أن تسعي هي أيضاً إلي الكمال، فهي قد تصلي وتصوم وتؤدي شعائر الإسلام كالمتخمرة، وربما أكثر منها ولكن عليها كما قلنا عن أختها أن تكثر بجانب سعيها إلي الكمال بالخمار أن تكثر من الحسنات، فكما قال الله تعالي: «إن الحسنات يذهبن السيئات» (هود ???)

ولا يجوز أن نتهم امرأة في دينها وإيمانها سواء لبست الخمار أو لم تلبسه، فالإنسان بطبيعته متغير يمسي مؤمناً ويصبح كافراً أو يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، واقتناعاته متغيرة فربما امرأة لا تلبس الخمار اليوم وهي مؤمنة فإيمانها يلبسها خمارها غداً، ولطالما الإيمان في القلوب فإن حسن الظن بفطرة الإنسان وسموها إلي الكمال بمجامع الخير في كل إنسان وكل زمان ومكان.

وفي كل الأحوال لا يجوز أن تهان شعيرة إسلامية وإهانة الوزير ورفضه لشعيرة «الحجاب» في رقبة الحزب الوطني ومصداقيته معلقة بهذا الموقف إلي

مستقبل غير منظور، وما ذكره النائب «الحفيان» من أن عضويته بالحزب مرهونة باستقالة هذا الوزير أو إقالته، لا يكفي فيه رد الدكتور فتحي سرور لأن قول «الحفيان» في ضمير الكثيرين بالفعل والإيمان بالحزب أو اهتزاز هذا الإيمان مرهون بالوقائع فلعل ثورة أعضاء مجلس الشعب من الوطني والإخوان لا تكون سامراً ثم ينفض ولعل التحقيق - الذي لم يكن له داع في الحقيقة لأن أقوال الوزير مسجلة بصوته في التليفزيون ورآها وسمعها الجميع- لا يكون القصد منه التهدئة والامتصاص فإن الأمر جد خطير ولا نحب أن يتمخض الجبل فيلد فأر.

إسدال الستار على أزمة الوزير والحجاب

الجولة الأخيرة في قضية 'حجاب' فاروق حسني التي شغلت الراي العام كانت تحت قبة البرلمان المصري الاحد ٣ ديسمبر ,٢٠٠٦. حيث تم وضع لافتة "النهاية" علي هذه الأزمة في اجتماع اللجنة المشتركة من لجنتي الشئون الدينية والثقافة والإعلام رأس الاجتماع د. فتحي سرور رئيس مجلس الشعب وحضرها د. مفيد شهاب وزير الشئون القانونية والمجالس النيابية واحمد أبو طالب ود. أحمد عمر هاشم رئيسا اللجنتين.

اكد فاروق حسني وزير الثقافة احترامه الشديد للمحجبات وغير المحجبات .. وأوضح ان الموضوع الذي اثير ليس دينيا وكان بسبب غيرته علي الشكل المستورد للحجاب الذي لا يعبر عن الهوية المصرية.. وقال هذا ما أثارني لأنني مسئول عن ثقافة مصر وأتصدى لاي محاولة لطمس هويتها او ثقافتها.

واشار د. سرور إلي ان ردود الوزير في اللجنة أكدت أن الوزير ليس ضد الحجاب وليس لديه دعوة ضده.. وأن ما نشر علي لسان الوزير هي تصريحات صحفية تم تحويرها.. وان الوزير ملتزم بسياسية عامة نابعة من احترام الشريعة الإسلامية وقيمها وأحكامها.

واعتبر اعضاء اللجنتين ان ما ذكره الوزير يعتبر اعتذارا ضمنيا. وإن لم يكن اعتذارا صريحا.. خاصة ان الوزير حرص علي التأكيد انه يحترم المحجبات وان غيرته علي الشكل وليس المضمون.. خاصة أن المضمون لا يناقش.

كانت البداية ساخنة بين الأعضاء والمنصة التي جلس فيها فاروق حسني وزير الثقافة والذي جاء إلي الاجتماع وهو يحمل بداخله غصة مما قيل عنه في جلسة مجلس الشعب التي ناقشت الموضوع.. وعبر عنه في حديثه حيث أكد أن الموضوع الذي ي اثير ليس دينيا ولكنه شكليا فمصر هي أم المساجد.. التي تملك كما هائلا من العمارة الإسلامية والتي كادت أن تندثر لولا جهود الدولة.. وقال إن الموضوع أساسا هو موضوع رأي وأسلوب حوار وليس موضوعا دينيا.. وغيرتي كانت علي الشكل الفني فأنا احترم جميع نساء مصر المحجبات منهن وغير المحجبات.. والبرلمان هو المكان الذي يحترم فيه الراي والراي الآخر.. وكان لابد أن نناقش الأمر نقاشا هادفا.. وليس تعسفيا كما حدث في الجلسة العامة للمجلس. فأنا شعرت بغصة لأنني كنت مغتابا بين أيديكم.. وما ذكرته راي شخصي بعيدا عن الدعوة وكان رأيي خاص في مكالمة خاصة.. وهناك أمور يجهر بها.. وأمور اخري لا يجهر بها.. واعرف جيدا ما أصدره للمجتمع لأنني المسئول الأول عن ثقافة هذا البلد.

واستطرد الوزير في الحديث فقال عندما تحدثت لم اتحدث في أساس الدين ولا أركانه.. ولا ثوابته وإنما تكلمت في مظهر من مظاهره.. فالدين هو الكيان المادي الذي يحرك العاطفة والإيمان لمشاعر الإنسان لدحض الرذيلة وعندما تحدثت عن مظهر من مظاهر الدين خاصة وأن كل دين له مظهره فإنني كنت أتحدث عن أمر غير الثوابت والأساس.. فالدين أساسه الإيمان.. وأنا لست رجل دين أو مفتي.. وعندما تحدثت عن شكل ديني كنت اقصد أمر غريب علي ثقافتنا.

كما تحدثت أيضا عن الفتاوى العشوائية علي الساحة ولم أتحدث عن الشيوخ الأجلاء الافاضل فالآخرين لا يساوي الواحد منهم ثلاثة ملاليم وهنا حديثي عن ثقافة.. شيوخ الفضائيات.

وهنا حدثت ضجة من القاعة.. حيث رفض الأعضاء استمرار الوزير في الحديث بهذا الشكل.. وبعد أن هدات القاعة.. استكمل فاروق حسني حديثه فقال انا حينما اقصد الشيوخ.. اتحدث عن شيوخ مصر الاجلاء.. الذين أعطوا لمصر بثقافتهم.. وفلسفاتهم ما

فاق علماء أوروبا.. والفضائيون.. هم أفاقون يسرقون الأرض من العلماء الأجلاء..

واضاف وعندما تحدثت عن الآذان كنت اقصد الأصوات الضعيفة.. فهل وصل الأمر إلي اننا أصبحنا لا نفرق بين الصوت الجيد والصوت القبيح.. فهناك أطفال يعتلون المساجد للآذان.

وهنا حدثت ضجة مرة أخري في القاعة وتعالت أصوات.. وما له يا سيادة الوزير.. هم الأطفال ما يصلوش؟ أصوات الأطفال فيها خشوع يا وزير الثقافة.

وتدخل د. سرور.. ليخفف حدة الضجة بالقاعة موجها حديثه لوزير الثقافة. "الآذان خليه لوزير الأوقاف.. فعقب فاروق حسني وسط الضجة التي كانت مستمرة.. "أنا أتحدث عن قيمة جمالية وأنا بأغطي الموضوع كله.. فعاد د. سرور ليقاطعه بحسم قائلا.. سبق لوزير الأوقاف أن أراد أن يوحد الآذان ثم وجه الحديث للنواب.. البرلمان لا يسأل الوزير إلا عن أعماله.. فهل لك قرارات تتعلق بالحجاب.. والوزير لا يسأل عن تصريحات وإنما عن سياسات ونحن حينما نجتمع فإن ذلك يأتي في إطار الرقابة البرلمانية.. فما هي سياسة الوزارة بالنسبة للحجاب وقراراتها بشأنه؟

وبعد أن هدأت القاعة.. استأنف فاروق حسني الحديث فقال انه لابد من تصحيح.. أنا لم أصرح.. وهناك التصريح واستراق الراي الشخصي.. ورأيي الشخصي أنني أحترم المحجبة وغير المحجبة.. وعندما تحدثت عن شكل الحجاب كان قصدي الحجاب المستورد.. فعندما يأتي الشكل من الخارج فأنا أنبه من الناحية الثقافية وليست الدينية.. والموضوع شخصي وتعبير عن رأي ولم أتحدث في الدين.. وهنا أشار وزير الثقافة إلي احدي مساعديه في مكتبه فقال.. عندما يحضر لي أحد بالوزارة.. فإن أول واجهة تقابله هي هذه السيدة المحجبة التي تعمل في مكتبي.

وانفعل النائب كرم الحفيات مقاطعا الوزير قائلا احنا عايزين نعرف الوزير

قال ولا مقالش؟

فرد فاروق حسني بحسم أنا لا أنكر ما قلت.. ولكن لم يكن تصريحا صحفيا.. وما نشر كلاما مختصرا.. وطلبت من الصحفية ألا تنشر لأن ما ذكرته كان عن ثقافة قادمة من حضارة متخلفة.. واستوردناها من دول لها أفكار أخري غير.. أفكارنا.

وعادت الضجة من جديد في القاعة.. وأصوات تتصايح.. حضارة مين المتخلفة.. الوزير بيتكلم عن مين.. الإسلام أصبح حضارة متخلفة!

وأسرع الوزير ليؤكد.. هذا الحجاب الذي أقصده هو الحجاب المستورد الذي يأتي من دول لها مآرب في مصر.. وإذا كان هذا مظهرا في الوقت الحالي.. فأنه سوف ينقلب إلي مضمون في المستقبل وهذا هو الجانب الثقافي الذي أتحدث عنه.. ونساء مصر طول عمرهن محجبات ومفيش سيدة في مصر وخاصة في الريف إلا وترتدي الملس أو الطرحة السوداء فلم أتحدث عن هوية الحجاب المصري.. وإنما هناك هوية يحاولون فرضها علينا.. ففي إيران والسعودية وأفغانستان لهم هوية في الحجاب ومصر الدولة صاحبة الريادة والتي صدرت الفكر الإسلامي تستورد هوية لها؟

والأصوات المصرية هي التي علمت العالم الإسلامي الترتيل.. يأتي اليوم الذي نستورد فيه الأصوات.. أنا بأتكلم بحرقة عن مصر ولا أهاجم أحدا ولو كان الكلام الذي نشر غير مختصر.. لكان فكري وضح منذ البداية.

وهنا تدخل د. سرور ليلطف من جو القاعة.. فقال علشان تبطل تكلم الصحفيات.. أنت من هنا ورايح تكلمهم بخشونة.. وإحنا كمان.. وضجت القاعة بالضحك.

وعاد فاروق حسني ليستأنف الحديث فقال احترامي الشديد لكل نساء مصر محجبات وغير محجبات ولكن لا يجب أن يحجر علي رأيي احد وقال إن وزارة الثقافة لم يكن لها سياسة واضحة في الثقافة الإسلامية كما هو الآن.. وهي

سياسة يجب أن نفتخر بها.. لقد سبق وأن أهديت مكتبة المجلس ٥٠٠ كتاب إسلامي أصدرتهم الوزارة.. واليوم أهدي المجلس ٥٢١ كتابا أخر عن الثقافة الإسـلامـيـة وهو دعم من الوزارة للإسـلام وعلي كل مـسلم دعم الدين الاسلامي.. ونحن ندعم بالمبادىء العظيمة والجميلة التي يحتويها.. وأيضا قمنا بتطوير الآثار الإسلامية حيث رممنا ١٤٦ مسجدا اثريا حتي الآن.. مع العلم أن وزارة الثقافة لا تملك سوي ■ ٪ من الآثار الإسلامية والباقي تملكهم وزارة الأوقاف وادعوكم لافتتاح شارع المعز الذي سيتم خلال شهرين.. وهو يضم حضارة متكاملة.

ثم وجه د. سرور ثلاثة أسئلة مباشرة إلي وزير الثقافة علي النحو التالي.

د. سرور: هل للوزارة سياسية ضد استخدام الحجاب؟

فاروق حسني: دي تبقي سياسة خاطئة ومجنونة.. وأي سياسة ضد الحجاب تبقي كده.

د. سرور: هل أصدرت قرارات ضد الحجاب.

فاروق حسني: لم يحدث بالمرة وأؤكد مرة أخري أنا احترم كل سيدات مصر محجبات

وغير محجبات.

د. سرور: هل دعوت السيدات أو تدعوهن لعدم ارتداء الحجاب.

فاروق حسني: لم يحدث.

د. سرور: من الواضح هنا أن الوزير ليست له سياسة أو قرارات ضد الحجاب وليس له دعوة ضده ويكون الأمر بعد ذلك تصريحات صحفية والوزير يلتزم بالحجاب ولا يدعو بشيء ضده.

وفي ختام مناقشات الأعضاء تحدث د. سرور.. فقال: إن الأعضاء قد استراحوا لتصريحات الوزير والذي يهمني أن أؤكده أن سياسة وزارته واضحة.. فالوزير في دعوته ليس ضد الحجاب وليس ضد الإسلام وقرأ

مقتطفات من حديث الوزير الذي نشرته "أخبار اليوم" أول أمس وعاد د. سرور ليكمل حديثه ومن ثم فإن ما حدث كان حوارا حوَر مضمونه.. والبرلمان له اختصاص ونحن نبحث سياسة الوزارة وليست تصريحاته.. وهو كوزير للثقافة ملتزم بالقيم الإسلامية وعلي المجلس أن يراقب.. لقد أدي هذا الحوار الذي تم إلي استيضاح الأمر واشكر وزير الثقافة لان سياساته ليست ضد الحجاب ويحترم المحجبات ولا انتظر أكثر من ذلك منه واعتبر الموضوع منتهيا

وهكذا تراجع وزير الثقافة عن كل تصريحاته لكن بشكل غير مباشرا، وهذا انتصار لقوي الحق والعدل التي تدعو إلي عدم المساس بأي من الثوابت الدينية، كما أن هذه الواقعة هي بمثابة درس لكل من يحاول أن يدس أنفه فيما ليس له به علم أو يحاول أن يحارب الله ورسوله وصدق الله العظيم القائل:(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) (المجادلة:٢٠)

الفريضة الغائبة في مسألة الحجاب

آفة هذا الزمان أن بعض الناس يتصورون أنهم قادرون بعقولهم -وهي قاصرة لا محال- أن يدركوا حقائق الأمور ومقاصد الله من تشريعاته وأنه يجب عليهم أن يقيسوا كل شيء بمقياس العقل ويزنوه بميزان المنطق فما وافقه فهو شرع ودين وما عداه فهو من كلام الأقدمين الذين كانوا -من وجهة نظرهم- عديمي التفكير يعيشون في بيئات تفتقد للحضارة والمدنية..

وتماما كما يُعملون عقولهم في اختيار القميص اللائق بالبنطلون ويفاضلون بين شراء فيلا في مارينا أو في شرم الشيخ ، يتعاملون مع النصوص الإلهية.. يأخذون منها ما يناسبهم ويفي بمتطلباتهم وينحّون ما يتعارض مع ذلك بحجة أن العصر مختلف والزمان غير الزمان وما صلح لأن يكون منهجا منذ مئات السنين لا يكون صالحا بالضرورة لعصر العولمة ..

هؤلاء النفر من الناس إذا سمعت منهم في قضية المرأة ، فسيهولك ما تسمع من أعاجيب مريبة تختلط فيها الأحكام وتطير بها الأهواء إلي الباطل

الصريح.. ومع أن حكم الله في أمر المرأة سفورا وحجابا، معروف بالدليل إلا أنك تجد الذين يلوون ألسنتهم بالكذب يعمدون إلي النفاق حين ينتقلون بالدليل إلي غير موضعه وهم علي بينة من هذا التلبيس الخادع، لكن -كما يقولون- الغرض يعمي ويصمّ.

وما أضلهم أعمي قلوبهم إلا إتباع الهوى وتحكيم أفهامهم القاصرة والاعتماد عليها، فخرج علينا من يحكم عقله في فقه الصيام ليقول لنا بملء فيه دون خجل أو حياء: إن التدخين في نهار رمضان لا يبطل الصيام لأنه هواء ولم يرد في أقوال الفقهاء ما يقضي بكون الدخان أو الهواء من المفطرات.. ونسي هذا الجاهل أن شرب الدخان حرام أصلا.. فكيف يكون حراما ومع ذلك لا يفطر !؟

أيضا يخرج علينا في كل ساعة من يتخذ من الدين مطية للشهرة فينكر فرضا مثل الحجاب ويقول عنه كلاما لا يسمن ولا يغني من جوع مدعيا في ذلك منطقا سقيما وحججا سخيفة لا تكاد تسمعها حتى توقن ببوار بضاعته وخوار عقله.

أقول لهؤلاء المتبجحين والمتجحشين:

حينما يفترض الله شيئا علي عباده فهو سبحانه يتعبدهم به ليعرف الصالح من الطالح والمؤمن من الكافر.. وقد يخفي سبحانه الحكمة من وراء أمر من أوامره إمعانا في اختبار عباده ومعرفة ما إذا كانوا حقا ممن يقولون سمعنا وأطعنا أم لا.. لمعرفة منْ يسلم أمره لله، ومنْ يركن إلي هواه.

وتعالي معي نستعرض جانبا من سيرة المستسلمين لأمر الله:

امتحان الخليل وولده إسماعيل!

في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع زوجته هاجر وولده إسماعيل تجد الأمر واضحا جليا، فلا يمكن أن يقول عاقل إن إبراهيم يُقدم علي ترك زوجته وولده في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء وليس معهم من الطعام إلا القليل

ويكاد الماء ينفد ولو حكّم إبراهيم عقله قليلا لما فعل ذلك.. وترجع أحداث الواقعة إلي أن السيدة سارة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام رأت إقباله علي ولده إسماعيل فخيل إليها أنه قلاها واستغني بإسماعيل وأمه عنها، فتغيّر لونها وساء مزاجها، ودبت عقارب الغيرة في قلبها وحلفت ألا يجمعها وهذا الغلام وأمه بيت واحد ولا بلد واحد.

وتحير إبراهيم ولم يدر ماذا يصنع أيترك سارة وهي شقيقة عمره ورفيقة حياته، أم يؤثرها ويترك إسماعيل وهو حبة قلبه، وفلذة كبده، ولم يترك المولي سبحانه وتعالي نبيه في هذه الحيرة القاتلة، وهذا الاضطراب المميت، فأوحى إليه أن يحمل هاجر وولدها إلي الحجاز ويتركهما في مكان حدده له.

وامتثل إبراهيم للأمر الصادر إليه من ربه وامتطي ناقته ومعه زوجه وولده ومضي حيث أتي واديا غير ذي زرع، فزجر الناقة فوقفت، وأمر هاجر فنزلت ومعها رضيعها، ولوي عنق راحلته إلي الشام، ورأت هاجر ذلك فصاحت وتعلقت بخطام دابته وقالت: لمن تتركنا يا إبراهيم في هذا المكان الذي لا أنيس فيه ولا جليس؟ وماذا نفعل إذا نفد ما معنا من الماء وانتهي ما لدينا من التمر؟ وانطلقت تبكي وتنتحب وتتوسل إليه بولده الصغير الذي لا يستطيع الصبر علي الجوع والظمأ، وإبراهيم صامت تنحدر الدموع من عينيه، وفهمت هاجر أنه مغلوب علي أمره، وان إرادته في غير يده، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ فهز رأسه أن نعم، فقالت: إذن فسوف لا يضيعنا.. وتركت خطام الدابة وراحت تربت علي صدر وليدها، وظهره، وقد أخذ يبكي، ومضي إبراهيم إلي حال سبيله,٦٥. ولم يكد يبتعد عن المكان الذي أنزل فيه زوجه وولده، حتى وقف وأدار وجهه إليه، ورفع يديه وراح يقول: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم:٣٧).

يا له من موقف تهتز له الأفئدة الحية، رجل يترك ولده وزوجته في مكان لا

تسكنه سوي الحيات والعقارب، ليس كرها لهم، ولكن لن الله أمره بذلك، وصدق الله العظيم حيث يقول:(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (البقرة:١٣١).

وها هو إبراهيم مرة أخري يضرب المثل في الامتثال لأمر الله فقد أمحن الله الخليل بذبح ابنه الوحيد وقد تمثل الامتحان الجديد الشديد بل الأشد من كل امتحان تعرض له في مسيرته الحياتية - بأمره من قبل الله في عالم الطيف - بذبح ولده إسماعيل وحيث أن رؤيا الأنبياء حق فقد اعتقد بسببها أنه مأمور بذبح ولده هذا واقعاً وأمره بذلك يتضمن أمر إسماعيل أيضاً بتقديم نفسه قربة وقرباناً لله تعالى

وقد شارك هذا الولد المؤمن حقاً والموحد واقعاً - أباه في الاعتقاد بأنّه مأمور بذلك أي بتقديم نفسه المطمئنة في سبيل مرضاة الله سبحانه . ولذلك أبدى الاستعداد لقبول تنفيذ أمره تعالى عندما أخبره والده الجليل بالتكليفين المذكورين المتوجه أحدهما إلى الأب مباشرة وبصراحة والآخر موجه إلى الابن ضمناً وبالتبع والإشارة.

وقد ورد التكليفان المذكوران في قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات:١٠٢).

فالمفهوم من هذه الآية المباركة أن النبي إبراهيم اعتقد بسبب هذه الرؤيا بأنه مأمور بذبح ولده وتقديمه قربناً لله تعالى .

كما اعتقد إسماعيل تبعاً لاعتقاد والده بأنه مأمور بتقديم نفسه قرباناً في سبيل مرضاة الله تعالى وأن والده مستعد لتنفيذ أمر ربه وتنفيذ إرادته وإن كان ذلك من أصعب التكاليف وأشدها وقعاً على شعوره وعاطفته الأبوية وأراد الاستفهام ومعرفة حال ولده هذا وهل هو مستعد لتقديم نفسه وتنفيذ أمر ربه بطواعية وانقياد لإرادة رب العباد فخاطبه قائلاً : (فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى)؟

فأجابه على الفور وبدون تردد : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين .

وحكى الله سبحانه قصة إقدام هذين النبيين العظيمين على امتثال أمر ربهما الأعظم بقوله تعالى:(فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الأخرين سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيم كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (الصافات ١٠٣:١١١)

فقد بيّن الله سبحانه بهذه الآيات البينات عدة نقاط حيوية جديرة بالتنبه لها والالتفات إليها من أجل استخلاص العبر الموجهة والدروس المربية .

النقطة الأولى: هي أن إقدام كل واحد من الوالد والولد على تنفيذ أمر الله سبحانه لم يكن عن ضغط خارجي مثل خوف العقوبة الصارمة المترتبة على المخالفة العملية للوظيفة الشرعية وإنما كان عن تسليم لأمر الله سبحانه ورضا بقضائه وهذا هو روح العبودية الكاملة والعبادة المخلصة لله تعالى وقد عبر ا لله سبحانه عن تسليمهما الخاشع أمام قضائه الواقع بقوله سبحانه : فَلَمَّآ أَسْلَمَا . .

النقطة الثانية: أن إقدام النبي إبراهيم على ذبح ولده إسماعيل الطفل الوحيد لم يكن مشوباً بشيء من الرقة والعطف الأبوي الذي يقتضي بطبعه التريث والبطء في مقام الامتثال كما هو واضح بمقياس العاطفة البشرية وخصوصاً العاطفة الأبوية وعلى الأخص مع الطفل الوحيد الوديع الذي بلغ من العمر مرحلة تساعده على العمل في سبيل خدمة أبويه ومساعدتهما على تحقيق بعض الخدمات ولا سيما إذا كان الوالد شيخاً كبيراً كما كان بالنسبة إلى موضوع الحديث وموضع الإعجاب والتقدير .

ويستفاد ما ذكرناه في هذه النقطة من قوله تعالى : وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ حيث يفهم من هذه الكلمة ـ معنى القوة على ضوء ما ورد في تفسيرها هذا يدل على أن

حرارة الإيمان المتوهجة في قلبه غلبت على حرارة العاطفة الأبوية لتصبح بحكم العدم ، وهذا هو المتوقع من المؤمن المثالي الذي باع نفسه وماله وأولاده وكل ما يتعلق به في هذه الحياة لله تعالى.

والسر في ذلك هو أن المؤمن الواعي الواقعي يرى بعين فطرته الصافية وبصيرته النافذة أن نفسه وماله وأولاده وكل ما هو تحت يده وتصرفه في هذه الحياة هو ملك لله تعالى المالك الحقيقي للكون كله بما فيه الإنسان ولذلك يجب عليه أن يصرفَه ويتصرف به وفق مرضاته وإذا طُلب منه تسليمه له وإعادته إليه وجبت عليه المبادرة إلى التسليم .

حكاية أم مؤمنة ألقت رضيعها في النهر:

وإذا أردت أن أزيدك عن حال الممتثلين لأوامر الله فإليك قصة أم ألقيت وليدها في النهر وقلبها يكاد ينفطر لا لشيء إلا لن الله أمرها بذلك، إنها أم نبي الله موسي الكليم عليه السلام، فقد كان بنو إسرائيل فى مصر يمرون بأهوال كثيرة، فقد ضاق بهم "فرعون"، وراح يستعبدهم ويسومهم سوء العذاب؛ نتيجة ما رأى فى منامه من رؤيا أفزعته، فدعا المنجِّمين لتأويل رؤياه، فقالوا: سوف يولد فى بنى إسرائيل غلام يسلبك المُلك، ويغلبك على سلطانك، ويبدل دينك. ولقد أطل زمانه الذى يولد فيه حينئذ.

ولم يبالِ فرعون بأي شيء سوي ما يتعلق بملكه والحفاظ عليه، فقتل الأطفال دون رحمة أو شفقة، وأرسل جنوده فى كل مكان لقتل كل غلام يولد لبنى إسرائيل .

وتحت غيوم البطش السوداء، ورياح الفزع العاتية، وصرخات الأمهات وهن يندبن أطفالهن الذين قُتِلوا ظلمًا، كان الرعب يسيطر على كيان زوجة عمران، ويستولى الخوف على قلبها، فقد آن وضع جنينها وحان وقته، وسيكون مولده فى العام الذى يقتل فرعون فيه الأطفال.

واستغرقت فى تفكير عميق، يتنازع أطرافه يقين الإيمان ولهفة الأم على

وليدها، ووسوسة الشيطان الذى يريد أن يزلزل فيها ثبات الإيمان، لذلك كانت تستعين دائمًا باللّه، وتستعيذ به من تلك الوساوس الشريرة .

ولما أكثر جنود فرعون من قتل ذكور بنى إسرائيل قيل لفرعون: إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم، ولا يمكن لنسائهم أن يقمن بما يقوم به الرجال من الأعمال الشاقة فتنتهي إلينا، حيث كان بنو إسرائيل يعملون فى خدمة المصريين فأمر فرعون بترك الولدان عامًا وقتلهم عامًا، وكان رجال فرعون يدورون على النساء فمن رأوها قد حملت، كتبوا اسمها، فإذا كان وقت ولادتها لا يولِّدها إلا نساء تابعات لفرعون . فإن ولدت جارية تركنها، وإن ولدت غلامًا؛ دخل أولئك الذباحون فقتلوه ومضوا.

ولحكمة اللّه -تعالى وعظمته- لم تظهر على زوجة عمران علامات الحمل كغيرها ولم تفطن لها القابلات ، وما إن وضعت موسى - عليه السلام- حتى تملكها الخوف الشديد من بطش فرعون وجنوده، واستبد بها القلق على ابنها موسى، وراحت تبكى حتى جاءها وحى اللّه عز وجل أمرًا أن تضعه داخل صندوق وتلقيه فى النيل.

قال تعالي:(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخافي وَلَا تحزني إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص :٧).

وكانت دار أم موسى على شاطئ النيل، فصنعت لوليدها تابوتًا وأخذت ترضعه، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه، ذهبت فوضعته فى التابوت، وسَيرَتْهُ فى البحر، وربطته بحبل عندها.

وذات يوم، اقترب جنود فرعون، وخافت أم موسى عليه، فأسرعت ووضعته فى التابوت، وأرسلته فى البحر، لكنها نسيت فى هذه المرة أن تربط التابوت، فذهب مع الماء الذى احتمله حتى مرَّ به على قصر فرعون. وأمام القصر توقف التابوت، فأسرعت الجواري وأحضرنه، وذهبن به إلى امرأة فرعون، فلما

كشفت عن وجهه أوقع الله محبته في قلبها، فقد كانت عاقرًا لا تلد. وذاع الخبر في القصر، وانتشر نبأ الرضيع حتى وصل إلى فرعون، فأسرع فرعون نحوه هو وجنوده وهمّ أن يقتله، فناشدته امرأته أن يتركه، وقالت له: (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (القصص :٩)

كاد قلب أم موسى أن يتوقف، فهي ترى ابنها عائمًا في صندوق وسط النهر، ولكنَّ الله صبرها، وثبتها، وقالت لابنتها: اتبعيه، وانظري أمره، ولا تجعلي أحدًا يشعر بك.

وكان قلبها ينفطر حزنًا على مصير وليدها الرضيع الذى جرفه النهر بعيدًا عنها: (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (القصص:١٠-١١)

فرحت امرأة فرعون بموسى فرحًا شديدًا، ولكنه كان دائم البكاء، فهو جائع، ولكنه لا يريد أن يرضع من أية مرضعة، فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته أخته بأيديهم عرفته، ولم تُظهر ذلك، ولم يشعروا بها، فقالت لهم: أعرف من يرضعه. وأخذته إلى أمه.(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (القصص١٣:١٢).

وما إن وصل موسى -عليه السلام- إلى أمه حتى أقبل على ثديها، ففرحت الجواري بذلك فرحًا شديدًا، وذهب البشير إلى امرأة فرعون، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها مالا كثيرًا - وهي لا تعرف أنها أمه-، ثم طلبتْ منها أن تُقيم عندها لترضعه فرفضتْ، وقالت : إن لي بعلا وأولادًا، ولا أقدر على المقام عندك، فأخذته أم موسى إلى بيتها، وتكفلت امرأة فرعون

بنفقات موسى. وبذلك رجعت أم موسى بابنها راضية مطمئنة، وعاش موسى وأمه فى حماية فرعون وجنوده، وتبدل حالهم بفضل صبر أم موسى وإيمانها وامتثالها لأمر الله.

زوجة رجل أنعم الله عليه

وفي قصة زواج سيدنا زيد بن حارثة من السيدة زينب بنت جحش تتجلي عظمة الخضوع لله والانقياد لأوامر رسوله الكريم -صلي الله عليه وسلم- فقد ذهب النبي يخطب لزيد وقد كان يدعى "زيد بن محمد" إذ لم يكن الإسلام وقتها قد حرم التبني، وكان قد اختار له زينب بنت جحش فاستنكفت (أنفت وترفعت) من زيد وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة .. يقول بن كثير في تفسيره: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل فانكحيه قال يا رسول الله أؤامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وما كان وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً) (الأحزاب:٣٦) قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، قالت: إذا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي.

وقد أثاب الله عز وجل السيدة زينب علي هذه الطاعة وهذا الانقياد الكامل لله ورسوله فجعلها زوجة لخير الناس وأحبهم إلي الله محمد -صلي الله عليه وسلم- جعلها من أمهات المؤمنين، فلم تكن تعلم زينب أن الله أراد من زواجها بزيد أن يبطل عادة التبني وأراد أن يعلم المسلمين درسا عمليا بزواج الرسول من مطلقة زيد الذي كان قد تبناه المصطفي صلوات الله وسلامه عليه.. يقول الطبري في تاريخه: جاء رسول الله بيت زيد بن حارثة وكان زيد إنما يقال له

زيد بن محمد ربما فقده رسول الله الساعة فيقول: أين زيد؟ فجاء منزله يطلبه فلم يجده وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلا فأعرض عنها رسول الله فقالت ليس هو ها هنا يا رسول الله فادخل بأبي أنت وأمي فأبى رسول الله أن يدخل وإنما عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها رسول الله على الباب فوثبت عجلة فأعجبت رسول الله فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم إلا أنه أعلن سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب قال فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله أتى منزله فقال زيد: ألا قلت له ادخل فقالت قد عرضت عليه ذلك فأبى.

قال: فسمعته يقول شيئا؟ قالت: سمعته يقول حين ولى سبحان الله العظيم سبحان الله مصرف القلوب، فخرج زيد حتى أتى رسول الله فقال يا رسول الله بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟

فقال رسول الله: أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك فكان يأتي رسول الله فيخبره فيقول له رسول الله أمسك عليك زوجك، ففارقها زيد واعتزلها وحلت فبينا رسول الله يتحدث مع عائشة إذ أخذت رسول الله غشية فسري عنه وهو يتبسم ويقول من يذهب إلى زينب يبشرها يقول إن الله زوجنيها وتلا رسول الله: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) (الأحزاب:٣٧)

قالت عائشة فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها، زوجها، فقلت تفخر علينا بهذا٦٦ .

يا فلان زوجني ابنتك

ويتمثل التسليم الكامل بأمر الله ورسوله -كذلك- في قصة زواج جليبيب رضي الله عنه فقد كان امرأ من الأنصار وكان أصحاب النبي إذا كان لأحدهم أيم (من ليس لها زوج) لم يزوجها حتى يُعلم النبي هل له فيها حاجة أم لا.. فقال رسول الله ذات يوم لرجل من الأنصار: يا فلان زوجني ابنتك.

قال: نعم ونعمة عين.

قال: إني لست لنفسي أريدها.

قال: لمن؟

قال: لجليبيب.

قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها.

فأتاها فقال: إن رسول الله يخطب ابنتك.

قالت: نعم ونعمة عين زوج رسول الله.

قال: إنه ليس لنفسه يريدها.

قالت: فلمن؟

قال: لجليبيب.

قالت: ألجليبيب لا لعمر الله لا أزوج جليبيبا

فلما قام أبوها ليأتي النبي قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما؟

قالا: رسول الله.

قالت: أفتردون على رسول الله أمره ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني.

فذهب أبوها إلى النبي فقال: شأنك بها فزوجها جليبيبا.

فدعا لها النبي وقال: اللهم صب عليها الخير صبا صبا ولا تجعل عيشها كدا كدا.

فزوجها إياه فبينما رسول الله في مغزى له قال: هل تفقدون من أحد؟

قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانا ونفقد فلانا.

ثم قال: هل تفقدون من أحد

قالوا: نفقد فلانا ونفقد فلانا.

ثم قال: هل تفقدون من أحد؟

قالوا: لا.

قال: لكني أفقد جليبيا فاطلبوه في القتلى فنظروا فوجوده إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقال رسول الله: هذا مني وأنا منه أقتل سبعة ثم قتلوه؟! هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه؟! فوضعه رسول الله -صلي الله عليه وسلم- على ساعديه ثم حفروا له ما له سرير إلا ساعدي رسول الله حتى وضعه في قبره.

فما في الأنصار أيم أنفق منها(أي أكثر منها مالا وسعة في العيش)!! وما ذلك إلا ببركة خضوعها لأمر الله ورسوله,٦٧

وهل نلغي عقولنا ؟

قد يقول قائل: خلق الله لنا العقل وأمرنا بالتفكر والتدبر في أكثر من آية.. وأنت هنا تدعونا لأن نلغي عقولنا وننقاد دون تفكير ومناقشة للأوامر التي جاء بها الإسلام، وننتهي أيضا دون جدال لما نهتنا عنه تعاليم الدين فهل هي دعوة لإلغاء العقل والعودة إلي التخلف والجهل؟!

وأقول: يستطيع من يقرأ القرآن الكريم بقليل من التدبر أن يستشعر مدي عظمة خالق هذا الكون ويتبين مدي سطوته وجبروته وهيمنته علي كل شيء، قال تعالي: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (الحديد:٣) وقال:(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (البقرة:١١٧) وقال: (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (هود:١٢٣).

إن هذا الخالق العظيم قد أرسل رسله علي فترات ليبينوا للناس الحق من الباطل، ويرشدوهم إلي ما فيه الهدى، ويبعدوهم عما فيه الضلالة والغواية، وختم هذه الرسالات برسالة جامعة زود الله من خلالها البشر بكل ما فيه الخير لهم .. ثم اتاح للعقل أن يتحرك وصرح للإنسان أن يستغل قدرته علي الفهم والتمييز في الحكم علي الأشياء وترتيب أمور حياته .

إن نبي القرآن عليه الصلاة والسلام أرسي دعائم العقيدة والعبادة والخُلق، وساق نصوصا حاسمة تضبط سيرة المرء وتقاليد الجماعة وهذه أسس وتوجيهات لا تختلف باختلاف العصور، ولا يمكن اختراق أسوارها.. أما ما وراء ذلك من شئون – وما أكثره- فموكول للعقل الإنساني يمحو فيه ويثبت,٦٨

يقول جمال الدين الأفغاني :إن أول ركن بني عليه الدين الإسلامي هو صقل العقل بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الأوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بان الله متفرد بتصريف الأكوان متوحد في خلق الفواعل والأفعال، وأن من الواجب طرح ظن في إنسان أو جماد علويا أو سفليا بأن له في الكون اثر بنفع أو ضر أو إعطاء أو منع أو إعزاز أو إذلال٦٩ ,

ويقول الشيخ محمد عبده في تبيان مكانة العقل في الحضارة الإسلامية : إن الإسلام أطلق سلطان العقل من كل ما كان قَيَّده، وخلَّصه من كل تقليد كان استعبده، وردّه إلى مملكته يقضي فيها بحكمه وحكمته، مع الخضوع مع ذلك للّه وحده، والوقوف عند شريعته، ولا حدَّ للعمل في منطقة حدودها، ولا نهاية للنظر يمتدّ تحت بنودها ,٧٠

إن الخلاف بين العقل والدين هو قضية غربية خاصة بالأوروبيين وموقفهم من الكنيسة وتفسيرات الدين، وقد نُقلت هذه القضية إلى افق الفكر الإسلامي نقلاً باطلاً وزائفاً. وموقف الإسلام من العلم معروف، فليس في تاريخ الإسلام أو الفكر الإسلامي، ما يُشير إلى أن هناك مناهضة بين العلم والدين وقعت، أو

أن الدين ناقَضَ العلم.

إن علماء الغرب قد وجدوا في كتبهم المقدسة، ما يتعارض مع كشوف العلم فاختلفوا، أما القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس، فليس فيه ما يخالف أو يختلف أو يتعارض مع حقيقة ثابتة من حقائق العلم، بل على العكس من ذلك، إن كثيراً من المفاهيم العلمية الثابتة لها مدلول في القرآن. ٧١

إن المعركة بين من يدعون أنهم رواد التنوير وبين علماء الدين هي معركة مفتعلة منقولة من فكر الغرب، وقد تكون المعركة هناك لها ما يبررها أما في الإسلام فلا..

فالأسباب التي دعت -مثلا- مارتن لوثر أن يثور علي الكنيسة لا يوجد لها نظير في الإسلام ليثور تيار العلمانية ضد كل ما هو إسلامي.

لقد أشاعت الكنيسة بين البشر أن الخلاص لا يناله الإنسان إلا بواسطة الكنيسة، عن طريق البابا، ورجال الكهنوت، وصكوك الغفران، والذبائح والمراسيم.. ويكفي أن نقرأ عبارة واحدة مما كانت توجهه الكنيسة للشعب لنعرف مدي استخفاف السلطة الدينية بعقول البشر :"في نفس اللحظة التي ترن فيها دراهمكم في الصندوق تخرج النفس طاهرة حرة منطلقة إلي السماء".

أما في الإسلام فلأمر هين وبسيط، فيكفي أن يتوضأ الإنسان ويقف بين يدي الله مباشرة دون وسيط ليعلن توبته ورجوعه لخالقه.

ومن هذا نقول:

ما ورد فيه نص صريح في القرآن أو السنة المطهرة لا مجال فيه لإعمال العقل، ولا مكان لإخضاعه لظروف العصر وتطورات الحياة.

وما لم يرد فيه أمر صريح فللعقل أن يضع تصوره إزاءه بما يتماشى مع الحالات والأوضاع شريطة ألا يشطح العقل في تصوراته خارج دائرة الإيمان.

شبهات من لا ترتدي الحجاب والرد عليها

دخلت إلي مكتبي في أول يوم من شهر رمضان المبارك فوجدت فتاة عليها علامات الوقار والهيبة، محجبة ملتزمة بالزى الشرعي، لم أتحقق منها جيدا، ألقيت السلام علي الحاضرين وجلست أجهز أقلامي وأوراقي لأبدأ العمل.. نادتني معاتبة لما لم تسلم علي ؟! لم يكن صوتها غريبا إنها زميلتنا (ص . م) لكنها لم تكن محجبة ؟ ما الذي حدث؟!

بادرتني قبل أن انطق بالسؤال: "أنا اتحجبت علشان إحنا في رمضان"..

أغراني الرد بسؤال: ولماذا في رمضان فقط؟

فقالت: إحنا صايمين ونفسنا ربنا يتقبل!

ولماذا لا تحرصين علي أن يتقبل الله منك العمل طوال العام ؟

بصراحة الحجاب مسألة شخصية ولا أسمح لأحد أن يناقشني فيها!!

هكذا انتهي الحوار بيني وبين صاحبتنا التي ألقت بالحجاب في دولاب ملابسها وودعته إلي رمضان القادم وعادت إلي سيرتها الأولي منذ ليلة العيد، لكن الأمر لم ينته بالنسبة لي، فقد شعرت بأننا كدعاة ومسلمين مقصرون في حق هؤلاء الناس الذين ينقصهم تعلم وفهم الكثير من أمور دينهم .. فجمعت بعضا مما تتعلل به الفتيات والنساء ويتخذنه ذريعة لعدم لبس الحجاب، وكان الأزهر الشريف قد أصدر كتابا تحت عنوان "بيان للناس" أورد فيه بعضا من هذه الشبهات فلنبدأ بها:

١- مادامت المرأة جادة في معاملتها ومؤدبة لا تؤذي أحدا فليس الحجاب أو الزي الشرعي ضرورة..".

نقول:جدية المرأة تلزمها الحشمة، والأدب كما يكون في الكلام والعمل يجب أن يكون في الزي، فالكل مأمور به من الله وادعاء عدم إيذاء أحد مرفوض، فإنها تؤذي شعور الغيورين علي الأخلاق، وتزين الفتنة لأرباب الهوى، ولهذا التزيين آثاره الكبيرة علي الشخص وعلي أسرته وعلي المجتمع، بل وعلي العمل الذي يزاوله في هذا الجو المشدود فيه إلي زينة المرأة، فالإيذاء موجود لا مفر منه.

٢- الظروف الحاضرة من مباشرة العمل وزحام المواصلات تجعل الزي الشرعي معوقا وموجبا للسخرية..

نقول: إن المرأة تغير من زيها في فترات متقاربة -حسب الموضة- ما بين القصير والطويل، فما كان الطويل مانعا لها من العمل ولا موجبا للسخرية، وتوجد اليوم محجبات لا يشكون من زيهن تعويقا عن العمل أو المشي أو الحركة.

٣- الدين يسر ومن يسره ألا يلزم المرأة زيا قديما حتى لا تتعقد نفسيا فيكون الضرر الذي يأباه الدين..

نقول: هذا القول سفسطة، فمن يسر الدين انه اباح الخروج للعمل ولم يحبسها في البيت، وانه حاطها بالرعاية لتؤدي عملها في أم وطمأنينة، فمنع عنها أذي الغير، ومن واجبها إزاء ذلك أن تمنع هي اذاها عن الغير، والمرأة هي التي تسبب لنفسها العقدة، بإيقاع نفسها تحت تأثير كلام الناس الذين ينظرون إلي مصلحة انفسهم قبل مصلحتها، ولو تمسكت بدينها وعلمت انه حق وأنه لمصلحتها ما عبأت بأقوال المستهترين، وكانت لها شخصيتها المحترمة.

إني أقول لها: ليس القديم عيبا ففيه كل الخير، وليس الحديث خيرا ففيه شر كثير، ولو أطلقت الحرية للناس لفسد المجتمع كله، وما كانت هناك حاجة غلي قوانين ولا إلي رسالات.

٤-الزي الشرعي يحرم المرأة من مباهج الحياة..

نقول: إن التمتع لا يكون بالعري والتحرر المنطلق، فقد مرت مئات السنين علي المسلمات المحتشمات، وهن يتمتعن بزينة الدنيا في أدب وكمال.

٥- بعض أعمال المرأة تقتضي زيا عصريا كاستقبال الشخصيات الزائرة نقول: وهذا لا يتناسب مع الحجاب والزى الشرعي..

هذه العمال لا تبرر الخروج علي شرع الله، فهو الذي وضع الزى المناسب، أما الذي وضع الزى المعاصر فهو المجتمع، فهل نطيع الشرع المعصوم أو المجتمع غير المعصوم : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) (الجاثية:١٨).

٦- الحجاب يعوق المرأة عن الإسهام في خدمة المجتمع وتطوره..

نقول: إن الرجل يقوم بكل الخدمات التى تنهض بالمجتمع ولا يحتاج إلي جهود المرأة إلا

عند عدم وجود من لا يصلح له غيرها أو كانت هي محتاجة إلي العمل ومع ذلك فالحجاب لا يعوقها أبدا، والشاهد علي ذلك موجود في إسهام المرأة المحجبة في خدمة المجتمع بكفاءة، اللهم إلا إذا كان المراد بخدمة المجتمع وتطويره هو الحفلات المعروفة والرحلات المشبوهة وما إليها، وهذه أمور لا يقرها أي دين.

٧- كشف بعض أجزاء الجسم يناسب الجو الحار الذي تعيش فيه المرأة، نقول: وهي بطبيعتها تحس بالحرارة أكثر من الرجل..

هل كل المسلمات يعشن في الأجواء الحارة؟! وهل كل فصول السنة حارة؟! إن المحتشمات عشن في كل جو ولم تضق بهن الحياة، والأمر لا يعدو أن يكون تحايلا للخروج علي العرف الإسلامي.

٨- الحجاب طعن في حق المرأة لأنه أمارة علي الشك في قدرتها علي الحفاظ علي الشرف وأمارة علي ضعف شخصيتها وإرادتها أمام المغريات..

نقول: إن الحجاب كما شرع للمرأة شرع للرجل، كل له ما يناسبه، فهل يمكن للرجل ان يقول: إن تحريم الإسلام لنظري إلي المرأة أو خلوتي بها طعن في عفتي وخلقي وعزيمتي؟ إن الحجاب احتياط وليس كل الرجال ولا كل النساء علي خير دائما، وهل وضع القفل علي باب المنزل أو المتجر اتهام من صاحبه لكل الناس أنهم لصوص؟ وهل وجود الشرطي والحارس دليل علي أن كل الناس لصوص؟.

٩- الحجاب فيه كبت للعواطف، إن لم تجد لها منفذا للظهور أدت إلي عقد نفسية، فالسفور تنفيس، لأن مقاومة الطبيعة تغري بالانتقام لنفسها بالانحرافات..

نقول: الإسلام أمر بالحجاب تعديلا للغريزة وترويضا لها، وما من شيء يحرمه الله إلا وجعل له بديلا من الحلال، فليست المنافذ كلها مسدودة علي الغرائز، وإلا كان التشريع عبثا، والطرق السليم لنشاط غريزة الجنس نشاطا منتجا صحيحا هو الزواج.

والحجاب الشرعي يوقف الغريزة عند حد الاعتدال، لا يريد أن يميتها ويقضي عليها ولا أن يقويها بشكل يدعو إلي الخطر.

١٠- ما العلاقة بين قطعة قماش توضع علي الرأس وبين العفة التى تنبع من داخل الفتاة..

نقول: السياق القراني لآية الخمار يبين أن العلة هي العفاف وحفظ الفروج ، حيث يبدأ

بالحديث عن تميز الطيبين والطيبات عن الخبيثين والخبيثات.. وعن آداب دخول بيوت الآخرين ، المأهول منها وغير المأهول.. وعن غض البصر.. وحفظ الفروج ، لمطلق المؤمنين والمؤمنات. وعن فريضة الاختمار ، حتى لا تبدو زينة المرأة - مطلق المرأة - إلا لمحارم حددتهم الآية تفصيلاً. فالحديث عن الاختمار حتى فى البيوت ، إذا حضر غير المحارم..
ثم يواصل السياق القرآني الحديث عن الإحصان بالنكاح (الزواج) وبالاستعفاف للذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله:
(الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور: ٢٦- ٣٣)

فنحن أمام نظام إسلامي ، وتشريع إلهي مفصل ، فى العفة وعلاقتها بستر العورات عن غير المحارم. وهو تشريع عام ، فى كل مكان توجد فيه المرأة مع غير محرم.

بل إن ذات السورة - (النور) تستأنف التشريع لستر العورات داخل البيوت - نصًا وتحديداً - فتقول آياتها الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (النور:٥٨-٦٠)

فنحن أمام تشريع لستر العورات ، حتى داخل البيوت ، عن غير المحارم ـ الذين حددتهم الآيات ـ ومنهم الصبيان إذا بلغوا الحلم.. فحيث أمر الله بالعفاف وحرم الزنا وأقر الزواج وأباح إمكانية التعدد فكان لابد لكمال التشريع من الأمر بدرء ما يوصل إلى عكس ذلك كله فأمر بالحجاب وبغض البصر وبعدم الخلوة وهو أمْرٌ له سبحانه فى كل دين.(راجع موسوعة حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين– وزارة الأوقاف المصرية)

١١–أخشي أن يقلّ جمالي بسبب الحجاب..

نقول: نعم قد يقل جمالك،ولكن ليس في كل الأحوال؛ فبعض المحجبات يكنّ أكثر جمالاً بالحجاب،خاصة حين يعمُر الإيمان القلب فيمتلىء الوجه نوراً وبهاء.. وتذكّري أن الجنة هي سلعة الله،والله تعالى سلعته غالية؛وأن الجنة محفوفة بالمكاره،وأن النار محفوفة بالشهوات.. فلا تظني أن الطريق إلى الله سهل ممهد،ولكن البطولة الحقيقية هي أن تتخطي كل العقبات حتى تصلي إليه سبحانه،ولسان حالك يقول:" وعجلتُ إليك ربِّ لترضى" فتكونين من الأبرار الذين قال الله تعالى عنهم (إنَّ الأبرارَ لفي نعيم . على الأرائكِ ينظرون . تعرف في وجوهِهم نَضرةَ النعيم . يُسقون من رحيقٍ مختوم . خِتامُه مسكٌ وفي ذلك فليتنافس المُتنافسون)(المطففين:٢٢-٢٧) .

١٢– يتسبب الحجاب في سقوط الشعر..

نقول: هذا القول غير صحيح،والدليل قول الأطباء عن تأثير الحجاب على صحة وسلامة الشعر" : الحجاب حماية للشعر،فقد أثبتت البحوث والتجارب أن تيارات الهواء وأشعة الشمس المباشرة تؤدي إلى فقدان الشعر لنعومته وشحوب لونه ،فتصبح الشعرة خشنة باهتة اللون،كما ثبت أن الهواء الخارجي (الأكسجين) وتهوية الشعر ،ليس له أي دور في تغذية الشعر،ذلك لأن الجزء الذي يظهر من الشعر على سطح الرأس وهو ما يعرف بقصبة الشعر،عبارة عن خلايا قرنية (ليس بها حياة) وهي تستطيل بانقسام برعم

الشعر الموجود داخل الجلد..وهذا الجزء النشيط والذي يؤدي انقسامه إلى استطالة الشعر بمعدل نصف ملليمتر كل يوم، يحصل على غذائه من الأوعية الدموية داخل الجلد ،ومن هنا نستطيع القول بأن صحة الشعر تتبع صحة الجسم عامة ..وأن أي شيء يؤثر على صحة الجسم من مرض أو نقص في التغذية يؤدي إلى ضعف في الشعر.

وفي حالة ارتداء الحجاب، يجب غسل الشعر بالصابون أو الشامبو مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع، حسب درجة تدهن البشرة.. بمعنى أنه إذا كانت البشرة دهنية فينبغي غسل الشعر ثلاث مرات في الأسبوع، وإن كان غير ذلك، فيكتفي بغسله مرتين أسبوعيا.. وينبغي ألا يقل تكرار غسل الشعر عن هذا المعدل في كل الأحوال.. إذ إنه بعد مضي ثلاثة أيام تبدأ الدهون في التحلل إلى أحماض دهنية، وهذا يؤدي إلى كسر قصبة الشعر أي : تقصف الشعر)

١٣-اخشى أن أفقد أناقتي بعد الحجاب..

نقول: كان هذا الاعتقاد الخاطيء يسود بين الفتيات ولكن الآن- بعد أن امتلات المحال التجارية بأزياء المحجبات من شتى الموديلات،والالوان ،وأنواع الأقمشة،حتى أن غير المحجبات قد أقبلن على ارتداءها من شدة أناقتها - لم يبقَ لك من عذر!

ولا تظني أن الإسلام يريدك رثَّة الثياب سيئة المظهر؛ ،ولك أن تراجعي سيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم الذي كان نظيفاً يدعو للنظافة ،أنيقاً يدعو للأناقة،وعلى الرغم من هموم ومشاغل أمته كان يحرص على التطيُّب مع أن عَرَقه كان أطيب من الطيب،وعلى دهن شعره ولحيته ليكونا في أبهى منظر!!

فالمسلم قدوة لغيره،لذا يجب أن يكون أنيق المظهر ، أنيق التصرفات.

١٤- مازلت صغيرة السن..

نقول: لا أظن انك لا زلت تؤمنين بتلك الاعتقادات القديمة التي كانت تبيح للشابات أن يرتدين ما يحلو لهن بحجة أن يتمتعن بشبابهن، وأن الاحتشام يقتصر على من بلغن من العمر أرذله؛ وأن الحجاب لا ترتديه إلا كبيرات السن اللاتي أدين فريضة الحج لأنهن قد شبعن من لذات الدنيا؛وهن الآن يتهيأن للقاء الله لأن أجالهن قد اقتربت!

ولعلك تدركين بالمنطق أن الشابة أولَى بستر محاسنها من كبيرة السن كما أنك إذا طالعت صفحة الوفيات لفوجئت بالأعداد الهائلة من الشباب الذين انتهت أعمارهم فجأة

وهم يعتقدون أن مَلَك الموت لا يزور إلا المسنِّين فقط!! أو الذين اعتقدوا انه كان سيعطيهم مهلة للتوبة قبل أن يقبض أرواحهم!

وأعتقد أن الانطلاق، وممارسة الرياضة ،والأنشطة المختلفة، في حدود طاعة الله ،مع النعيم الدائم في الجنة.. أفضل من المتع القليلة الزائلة في معصية الله،التي تؤدي إلى جهنم والعياذ بالله!! وإذا كنا لا نطيق لمسة من نار الدنيا، فهل نطيق لحظة واحدة في جهنم؟!!

١٥- سأرتدي الحجاب بعد أن يتقدم الشاب المناسب لخطبتي..

نقول: من هو الشخص المناسب في نظرك؟ الدَّيوث الذي مقره النار لأنه يرضى أن يرى الغير عورات زوجته؟

إن من يتقدم لخطبتك وأنت سافرة يعني-في الغالب- رضاه عن ذلك ،وإن حاولت ارتداء الحجاب بعد الزواج،فسوف يعترض ويحاربك،لأنه يريدك كما رآك أول مرة،فهل تفضلين رضاه على رضا الله عز وجل؟ وهل تبيعين الجنة بزوج لا يطيع الله فيك؟

أما إن اختارك الشاب وأنت تزهين بحجابك، فهذا يعني موافقته الضمنية على ذلك ويعني أنه تقي إن أحبك أكرمك ، وإن كرهك لم يظلمك.

وتذكَّري أنك إن بنيت حياتك الزوجية على أساس من معصية الله، فهل تعتقدي أن تنجح هذه الزيجة؟؟ كما أن الزواج نعمة من الله يعطيها من يشاء، فكم من محجبة تزوجت، وكم من سافرة لم تتزوج!

وإذا قلتِ: "إن عدم ارتدائي للحجاب هو وسيلة لغاية طاهرة، الا وهي الزواج، فإني أقول لك:إن الغاية الطاهرة لا تبيح الوسيلة غير الطاهرة في الإسلام، فإذا شَرُفت الغاية فلا بد من طهارة الوسيلة؛ لأن قاعدة الإسلام تقول: "الوسائل لها أحكام المقاصد" .

١٦-سأرتدي الحجاب بعد ليلة زفافي كي أستطيع ارتداء ما أريد من الثياب..

نقول: لماذا لا تتطهري من ذنوبك وتبدأين حياتك الزوجية وأنت طائعة مستريحة البال والضمير؟ وهل تظنين أن تأجيل طاعة الله من أجل أمر دنيوي ينتج عنه توفيقا في ذلك الأمر؟

١٧- انا أفعل الكثير من الطاعات وقلبي مطمئن بالإيمان، فما دخل اللباس ؟ ثم إن الحجاب حجاب القلب !

نقول: لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه أي أنه عليك أن تتقبلي كل أوامر الله ورسوله وتنتهي عن نواهيهما،ولا تكونين كالذين قال الله تعالى عنهم: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(البقرة: من الآية٨٥).

وتذكري أنك تشبهين – بعدم حجابك مع فعل الطاعات– مَن تحمل كيسا مليئا بالحسنات ولكنه مثقوب بعدم الحجاب،فلا تضيعي أعمالك الصالحة بسبب كل من يراك بغير الحجاب في كل مكان،ولك أن تقارني عدد من رآوك من غير المحارم كل يوم بعدد ما اكتسبت من الحسنات،هل يستويان؟

١٨- إن الله لم يهدني بعد..

نقول: لا تنتظري الهداية التي قد تأتي أولا تأتي ؛ فالله سبحانه يريدك أن تأتيه بملء إرادتك،كما أنه يقول : (إنّ الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم) ؛ فلا تطيلي الانتظار فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يزال المرء يتأخر حتى يؤخره الله "

الهوامش

١- النحل أ:أية ١٢٥

٢- الحجاب رؤية عصرية ص٨

٣- لتسمح لي الأستاذة إقبال بركة أن أكتب اسمها مجردا من باب التخفيف علي القاريء

٤- نفس المصدر ص٤

٥- النهاية في غريب الأثر الجزء: ٢ الصفحة: ٧٧

٦- تفسير بن كثير ج٣ ص ٤٦٨

٧- القاموس المحيط

٨- من الآية ٥٣ سورة الأحزاب

٩- المعجم الوجيز ص ٦٢٩

١٠- من الآية ٥٣ سورة الأحزاب

١١- حقوق النساء في الإسلام - محمد رشيد رضا

١٢- النور: من الآية٣١

١٣- الجامع لأحكام القرآن بتصرف

١٤- الأحزاب:٥٩

١٥- الإماء جمع أمة وهي المملوكة

١٦- ولا يظن أحد أن العلة من تشريع الجلباب هو مجرد تمييز الحرائر عن الإماء، أو لمجرد خروجهن للصحراء لقضاء حاجتهن، وإنما المقصد من التشريع هو حفظ المسلمة من الشرور والأضرار التى ربما وقعت لها في الطريق من غير الملتزمين، كما ننبه علي أن الإسلام في تشريعه هذا لا يفرق

بين مسلمة حرة ومسلمة أمة فالخطاب في القرآن لمجمل النساء حرائر وإماء، وربما يكون المقصد - والله أعلي وأعلم - الإماء من غير المسلمات اللاتي كن يخرجن لنفس الغرض ويغرين المنفلتين والفاسدين بالتحرش بهن.

١٧- الجامع لأحكام القرآن

١٨- تحرير المرأة لقاسم أمين ص ٦٠

١٩-الحجاب رؤية عصرية ص٤١

٢٠- النور الآية ٣٠

٢١- الكحل الأصفهاني

٢٢- رواه الترمذي وصححه الألباني

٢٣- رواه الترمذي

٢٤- النور من الآية ٣١

٢٥- شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام للدكتور محمد عمارة.

٢٦- النور: الآية ٢٧

٢٧- النساء: من الآية ١٠٣

٢٨- الحشر: من الآية ٧

٢٩- النساء:الآية ٨٠

٣٠- رواه أبو داود وقال الألباني صحيح

٣١- مرجع سابق ص ٤٨و٤٩

٣٢-تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان ص ٧١

٣٣- المرجع السابق ص٧٣

٣٤- الحجاب رؤية عصرية صـ ٤٩و ٥٠

٣٥- رواه الطبراني في الصغير

٣٦- مرجع سابق ص ٦٦

٣٧- بيان مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا حول قضية الحجاب في فرنسا

٣٨- الأحزاب :الآية ٥٩

٣٩- النور:الآية ٣١

٤٠- د.علي جمعة مفتي الديار المصرية

٤١- إلى كل فتاة تؤمن بالله. د.محمد سعيد البوطي ص ٩٧ وما بعدها بتصرف

٤٢- العلق: آية ٦

٤٣- الأنفال:آية ٣٧

٤٤- الأحزاب: الأيتان ٧٢و٧٣

٤٥- البقرة: من الآية ٨٥

٤٦- هود: الآية١١٢

٤٧- الشوري: الآية ١٥

٤٨- الشوري: ١٣

٤٩- نيل الأوتار ج٢ ص ٨٧

٥٠- فتوى رقم ٩٨٢ لسنة ٢٠٠٣

٥١ - نقاب المرأة واجب؟ أم سنة؟ أم بدعة ص ٧٠ وما بعدها بتصرف

٥٢ - الأحزاب: من الآية٥٣

٥٣ الأحزاب:٥٩

٥٤- الدكتور يوسف القرضاوي نقلا عن موقع إسلام أون لاين

٥٥- بعض النساء يظهرن عاريات الرأس في بيوتهن أمام أقارب الزوج وأصدقائه أو أقاربها هي أو أصدقاء اخوتها وهذا لا يجوز شرعا حتى وإن جري العرف في بعض البيوت علي ذلك.

٥٦- الأحزاب: آية ٣٦

٥٧- النور:آية٥١

٥٨- من أقوال د. ممدوح البلتاجي وزير الإعلام السابق أمام لجنة الثقافة والإعلام بالبرلمان في مارس ٢٠٠٥م

٥٩ - مجلة روزاليوسف الأسبوعية العدد ٤٠٦٩

٦٠ - وقد أعلنت رأيي بصراحة في كتابي "فتن العصر .. الداء والدواء وقلت ما نصه: أما الذين يدعون أنهم هم المسلمون الحقيقيون فقد أطالوا لحاهم وقصروا أثوابهم وحملوا السواك فى جيوبهم وقالوا إنهم وحدهم المسلمون وحكموا على من حلق لحيته بالفسوق ومن أطال ثوبه بمثله، أما من ترك الصلاة فهو كافر يجب قتله، وهم في ذلك فرق ومذاهب.. فماذا قدموا للأمة الإسلامية ؟!

جعلوا أعداءها يصفونها بأنها أمة ارهابية تميل للعنف وسفك الدماء، قدموا للأمة متفجرات طالت أرواح الأبرياء فى الأقصر وطابا وشرم الشيخ، قدموا خناجر وقنابل ومدافع أودت بحياة الكثيرين ممن صدر عليهم حكم بالكفر من هؤلاء، ولو أنهم وجهوا جهدهم هذا لنشر صحيح الدين وبناء جيل يحب الله ورسوله ويعرف لغة الموعظة الحسنة بعيداً عن التشنج والعصبية لكان خيراً لهم وأجدى.

لو أنهم أبعدوا أنفسهم عن التصادم مع الأنظمة والحكومات لكان خيراً لهم ثم ماذا لو فكرت هذه الجماعات بطريقة مختلفة ؟ ماذا لو أمرت - مثلاً - أن تنطلق من مشاكل الشارع وتضرب المثل والقدوة فى الأحياء بالنزول إلى الشوارع وتنظيفها من الروائح المنتنة حول المساجد بدلاً من الاعتكاف بعد الصلاة داخل المساجد ؟ ماذا لو أمرت كل خريجيها العاطلين فى التقدم للحكومة للاشتراك فى عملية غزو الصحراء وتحمل أجور رمزية فى البداية كنوع من الجهاد العظيم للتحرر من عبودية واستيراد غذائنا من الأجانب ؟ اليس هذا أجدى وأنفع من ذلك النموذج المترهل المتمثل فى إطالة اللحى

والإنعزال فى المساجد وترك المنازل سعياً وراء ما يسمى " بالخروج فى سبيل الله " بينما عيالهم لا يجدون من ينفق عليهم أما هم فقد احتلوا الزوايا وحولوها إلى تكايا يطبخون فيها ويغسلون ملابسهم ويقضون حاجاتهم يتنقلون من بلد إلى بلد لمدة شهر أو أسبوع ظناً منهم أن ذلك جهاد فى سبيل الله

٦١ - العدد رقم ٤٠٦٩

٦٢ - التوبة: ٣٢

٦٣- مصطفي بكري في مقال بالعقل بجريدة الأسبوع

٦٤ - المرجع السابق

٦٥ قصة البيت الحرام - عبد العزيز غنيم صـ٣٥و٣٦

٦٦ - تاريخ الطبري ج:٢ ص:٨٩

٦٧ - صفوة الصفوة ص ٧٢٢ بتصرف يسير.

٦٨ - مائة سؤال عن الإسلام ص ١١

٦٩ - جمال الدين الأفغاني - الرد علي الدهريين صـ٧

٧٠ - الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم د. محمد عمارة، المجلد ٣، ص ٤٥٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣

٧١ - مَعْلَمة الإسلام، أنور الجندي، المجلد ٢، ص ١٥

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٣
تقديم	٧
القصة الكاملة لمصادرة كتاب إقبال بركة	١١
الرد الذى أقره الأزهر على مزاعم إقبال بركة حول الحجاب	٢٥
حينما قال وزير الثقافة للحجاب :لا	٦٣
بيان المثقفين	٧٠
رسالة إلى قبيلة المثقفين	٧٣
أسدال الستار على أزمة الوزير والحجاب	٨٠
الفريضة الغائبة فى مسألة الحجاب	٨٥
شبهات من لا ترتدى الحجاب والرد عليها	٩٩
الهوامش	١٠٧

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفاكس: ٥٤٠٢٥٩٨ محمول: ٠١٢٢٣٤٩٠١١